تحليل عن إستخدام حزب الله للإعلام

بحث بقلم دايان س. كيوا
مستشار البحث: آن- ماري بيلوني
قارئ ثان: عباس كاظم
أكاديمية القوات البحرية؛ مونتري/ كاليفورنيا؛ أيلول 2007

موجز

في السنوات الأخيرة، كان حزب الله لبنان يزيد، بثبات، من نفوذه وتأثيره في الحياة السياسية محلياً، وفي سياسات الشرق الأوسط، إقليمياً. إذ حوَّل حزب الله نفسه من ميليشيا راديكالية تعارض الإحتلال الإسرائيلي الى حزب سياسي ممثل للقيم والسلوكيات السائدة. وفي هذه العملية، إتبع حزب الله إستراتيجية إعلامية معقدة ومحنكة تتضمن محطة تلفزيون فضائية ذات إمتداد إقليمي.

يدرس هذا البحث كيفية إستخدام حزب الله للإعلام لبناء قاعدته الشعبية وتحقيق أهدافه السياسية. وبإستخدام عناصر من نظرية الحركة الإجتماعية (SMT)، ستحلل هذه الورقة كيفية تطور رسائل حزب الله من خلال الإعلام بما يتصل بالأحداث السياسية التي حدثت خلال ثلاث فترات زمنية. الأولى، من الإنتخابات البرلمانية في العام 1992 حتى الإنسحاب الإسرائيلي في العام 2000. الثانية، من فترة مابعد الإنسحاب الإسرائيلي حتى حرب تموز 2006، وأخيراً، منذ نهاية حرب تموز حتى وقتنا الحاضر. وبشكل بديل خارج النظم التقليدية، ستتم مقارنة هذا النقاش في مقابل نظريات تقول بأن الحركات الإسلامية فريدة وغير متجاوبة مع دينامية الحركات الإجتماعية.

1. مقدمة

أ. الأهمية

للبنان تاريخ طويل من التدخل الأجنبي وهو موطن مجموعات دينية وإثنية متنوعة. ففي أوائل الثمانينات، برزت مجموعات إسلامية في لبنان وشوهدت منظماتها تنمو رداً على الظروف المؤثرة على المنطقة. أما إحدى هذا النوع من المجموعات فهي حزب الله، المكون من مسلمين شيعة. وبالرغم من تصنيفه كمنظمة إرهابية من قبل الولايات المتحدة، فقد إستهلَّ قادة حزب الله عملية إعادة هيكلة وتحول سياسي داخل الحزب لدمجه إجتماعياً وسياسياً داخل المجتمع اللبناني العلماني المتعدد الطوائف. ولم يتم إجراء إحصاء رسمي منذ العام 1932؛ في كل الأحوال، يمثل المسلمون الشيعة ما يقدر بحوالي 38% من سكان لبنان.

وإستطاع حزب الله أن يتدبر زيادة جماهيره الناخبة بواسطة تعزيزه لمجتمع إسلامي وتقديم خدمات إجتماعية لمناطق فقيرة من لبنان. وفي إنتخابات 1992 البرلمانية، إنتزع حزب الله وحلفاؤه من غير الشيعة 12 مقعداً من أصل 128 مقعداً برلمانياً، بما في ذلك 8 مقاعد شيعية. إن إستخدام حزب الله للتأطير في الإعلام يعكس المكونات الثقافية والإيديولوجية للحياة السياسية التي تعتبر هامة لتفسير النقمة النابعة من الشعور بالظلم وأسباب الحراك. هذا البحث سيدرس علاقة الإعلام بالحركة ويطرح السؤال عما إذا كانت التغيرات في التأطير ترتبط بعلاقة متبادلة بالتغيرات في الظروف السياسية.

ب. حزب الله والمجموعات الإسلامية

ركزت كتب ومواضيع أخيرة حول حزب الله على الفروقات والإختلافات بين العقيدة الدينية الشيعية – السنية وكيف أنها تتصل بالأهداف السياسية للمنظمة، بأصول حزب الله وتطوره خلال العقد الأول لوجوده، وبأنشطته الإرهابية. وبحسب جوديت بالمر هاريك، فإن حزب الله يدين بالفضل بنجاحه الى توليفة من الأنشطة الإجتماعية، الخيرية، والتعليمية الديناميكية (في مقابل خطابه الديني البدائي) وتكتيكات تشمل مضايقات جريئة ونشطة للقوات الإسرائيلية، الأمر الذي جعل المقاومة الإسلامية القوة العسكرية الرئيسة المعادية لإسرائيل.

كانت الصلة بين الإسلام ودولة لبنان تمر بتغييرات هامة. فهناك سوء فهم شائع بأن جماهير حزب الله شيعة. فبرغم كونهم فئة جوهرية من الجمهور، فإن هناك فلسطينيين ومسيحيين أيضاً. أما سوء الفهم الآخر فهو نشر الإسلام. ففي المراحل الأولى من بروز حزب الله، توافق قادة حزب الله على هدفهم بتأسيس نظام إسلامي في لبنان، على نموذج إيران، كدولة إسلامية موحدة لتطويق العالم الإسلامي بكامله. في كل الأحوال، ومنذ إنتخابه لدخول البرلمان، إختار حزب الله العمل ضمن النظام السياسي، حتى حرب 2006.

تزايد العنف الإسلامي وقمع الحكومة بشكل ثابت في الثمانينات. وفي الوقت الذي تزايد في القمع في التسعينات، كانت الحركات الإسلامية قادرة على تثبيت نفسها والنمو، خاصة في مناطق مأهولة بكثافة شديدة، في مدن المحافظات، الأرياف والمجتمعات المتحولة. في كل الأحوال، تحوي الحركات الإسلامية عناصر مشتركة مع الحركات الإجتماعية، فالسياق المحدد الذي تشتغل فيه كالإقصاء السياسي والقمع للمحافظة على الحكم، هو ما يجعلها فريدة. " إن المواطنين، بظل ظروف كهذه، مجبرون على تنظيم أنفسهم من خلال شبكات غير رسمية وبناء هويات جامعة من خلال هذه الشبكات؛ وهذه هي سمة الحركة الإسلامية التي تجعلها متمايزة عن حركات إجتماعية أخرى."

كان الإسلاميون أكثر من ناجحين في توجيه رسالتهم وإستراتيجياتهم التنظيمية نحو تغيير ممارسات موجودة. فبتشكيل هوية جامعة، يصبح الناس داعمون متحركون ويقومون ببناء حركات. ومن العمل الجماعي بإمكاننا أن ندرس 4 مجالات للشبكات الإجتماعية:

- هيكلية خيارات تخلق الحوافز لدى الحركات لكي تتشكل؛
- مخزون العمل الجماعي التي تستخدمه؛
- الشبكات الإجتماعية المبنية على أساسها؛
- الأطر الثقافية التي يتم تحريك داعميهم حولها.

ج. نظرية الحركة الإجتماعية منطبقة على حزب الله

1. هيكليات الخيار السياسي

جاء التغيير اللافت الأول في هيكلية الخيار السياسي بالنسبة لحزب الله مع الإنتخابات البرلمانية في العام 1992. إذ كان هذا الإنتخاب العام هو الأول الذي يشارك فيه الحزب. وقد أتاح الفضاء السياسي المقدم لحزب الله الإعتراف به كمنظمة شرعية وكان أمراً حاسماً بالنسبة لتطور الحركة الإسلامية. فبالإضافة الى المسلمين الشيعة، أتى الدعم لحزب الله من مجموعات مختلفة – موارنة وفلسطينيين.

أما التغيير الثاني في هيكلية الخيار السياسي فكان الإنسحاب الإسرائيلي من لبنان عام 2000. لقد برهن بأن مجموعة إسلامية مسلحة كانت قادرة على التسبب بإلحاق ضرر جدي بقوات الدفاع الإسرائيلية في لبنان. هذا الأمر عزز بشكل كبير من مكانة حزب الله لأنه كان بإمكانه الزعم بأنه المجموعة الوحيدة، على الإطلاق، التي هزمت إسرائيل بإجبارها على تسليم الأرض التي سيطرت عليها عسكرياً.

أخيراً، كان التغيير الثالث في هيكلية الخيار السياسي هو حرب تموز 2006. فبالرغم أن حزب الله خطف جنديين إسرائيليين، فإنه لم يكن في نيتهم القيام بحرب شاملة مع إسرائيل. إن إستخدام إسرائيل غير المتناسب للقوة بقصفها البنية التحتية، الأبنية، ومطار بيروت في غضون الأيام الأولى القليلة للحرب أشعل ردة فعل لم يكونوا هم حتى (حزب الله) جاهزين لها.

2. هيكليات متحركة

إن حزب الله، كحماس، حركة إجتماعية ذات قاعدة مؤسساتية أهم بالنسبة لنجاحها من أي قائد فردي. ففي حين يُعتبر حزب الله منظمة إرهابية في الغرب، فإن قدرته على تحريك الدعم لدى مجموعات غير شيعية مرتبطة بشبكته المؤسساتية، التي توفر عدداً من الخدمات الإجتماعية. إن الصعود الشائع للحركات الإسلامية في العالم العربي سببه أن جميع الدول العربية دول سلطوية بدرجة أو بأخرى ولذلك فهي تهيمن على النطاق العام.

تقدم مؤسسات الخدمات الإجتماعية، كالمدارس والمستشفيات، المبنية من قبل حزب الله دعماً لا يقدر بثمن لعموم اللبنانيين. فإذا ما أُزيلت هذه المؤسسات، فإن الآلاف سوف يعانون. فمن نواح عدة، تعتبر هذه المؤسسات مهمة في تحريك الدعم وتأطير القضايا بالنسبة لحزب الله.

3. التأطير الثقافي

لجعل إيديولوجيتها شعبية بشكل مؤثر وفعال، على الحركة الإجتماعية أن تكون قادرة على توفير فهم واضح لإيديولوجيتها التي تجد صداها مع جمهورها الهدف. ففي حين أن من غير المنطقي توقع أن يكون لدى أكثرية داعميه معرفة مفصلة عن إيديولوجيته، يركز حزب الله على قضايا أساسية تواجه اللبنانيين ككل بحيث يكون بإمكانه تشكيل شكل التصور والنقاش العام وفق طريقته.

إن الأطر الرئيسة الموظفة من قبل حزب الله التي تصوِّر إيديولوجيته هي أطر دفاعية.

○ المقاومة

يسعى حزب الله للحصول على قوة سياسية أكبر في مجلس الوزراء، الثلث زائداً واحداً، لإعطاء سبب أكبر للمقاومة. إذ كان فقدان التحكم السوري بالقرارات المصنوعة من قبل الحكومة اللبنانية عاملاً رئيساً في تغيُّر تركيز حزب الله. إذ عندما كانت سوريا مسيطرة، قامت بحماية المقاومة من الضغوط الداخلية والخارجية بما يخص نزع سلاحه. في كل الأحوال، وعندما إنسحبت سوريا من لبنان في العام 2005، واجه حزب الله ضغوطاً دولية لتنفيذ القرار الدولي رقم 1559 الذي صرَّح بوجوب نزع سلاح كل الميليشيات اللبنانية. وبالنتيجة، قرر حزب الله الإندماج بالدولة عن طريق الإنضمام الى الحكومة. وكانت المشاركة السياسية وسيلة لغاية عسكرية، أي المقاومة.

أما الدفاع عن لبنان ضد هجوم إسرائيلي فيبقى هو نفسه، إلا أن التكتيكات قد تغيَّرت. فهدف حزب الله هو أن يكون لديه القدرة للدفاع في حال حدوث هجوم. ويدَّعي حزب الله بأن لديه الحق بالدفاع عن النفس وبأنه فقط عندما تكون الدولة مستعدة لتحمل مسؤولياتها فإنه سيتخلى عن دوره الدفاعي.

○ المحافظة على العروبة

قام حزب الله بخطوات واسعة في تحرير القسم الأكبر من لبنان المحتل. فهو يتمتع بدعم عام من السلطات السياسية، شخصيات دينية وقوى فئوية. إن إحدى أهداف حزب الله هي تحقيق وحدة إسلامية بين السنة والشيعة في بلدان مختلفة. أما المقصد من الوحدة فهو إيجاد أرضية مشتركة تقود الى التعاون، التنسيق وتوحيد الجهود ضمن النطاق العام للقضايا المشتركة. أما القضية الفلسطينية فتشمل جميع المسلمين وتستحق الدعم.

○ الولايات المتحدة وإسرائيل ضد حزب الله

بدا قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1559 الأميركي – الفرنسي التدبير لجهة نزع سلاح حزب الله بأن الولايات المتحدة تستخدم إسرائيل لهجوم عسكري ضد حزب الله. وخلال الحرب عندما رفضت إدارة بوش على الدوام وقفاً فورياً لإطلاق النار، إعتبر حزب الله بأن الولايات المتحدة هي التي تنظم وتنسق الحرب وبأن الحرب كانت حتمية بصرف النظر عن خطف الجنديين. فحديث المسؤولين الأميركيين عن تحويل أزمة لبنان الى فرصة لشرق أوسط جديد لم تؤدِّ سوى الى شرعنة الأعمال الإسرائيلية. ولذلك، فإن حرب حزب الله مع إسرائيل كانت لسد الطريق أمام الأهداف الأميركية ومقاومة الإحتلال.

د. التأطير الإعلامي لحزب الله

على إمتداد تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي، تفوق حزب الله بأدائه على جميع الجيوش التقليدية بإستخدام قدرته للزيغ من الغارات الإسرائيلية، التسبب بخسائر للجيش الإسرائيلي، وأخذ الصراع الى إسرائيل نفسها من خلال الهجمات الصاروخية. وقد إعتبر حزب الله الولايات المتحدة بمثابة المحرِّض بالإضافة الى شرعنتها الأعمال الإسرائيلية في إطالة أمد صراع تموز 2006 لخلق شرق أوسط جديد. ورداً على ذلك، قام حزب الله بتأطير الصراع على أنه محهود موحد بين الولايات المتحدة وإسرائيل ضد حزب الله.

لعب تلفزيون المنار الخاص بحزب الله دوراً محورياً بالغ الأهمية خلال حرب الصيف. ففي الأسبوعين الأولين من الحرب كان ترتيب المحطة يأتي في الدرجة الـ 83 من بين كل محطات التلفزيون الفضائية في الشرق الأوسط. وبحلول منتصف تموز قفزت المحطة الى المرتبة 8. فما الذي يفسر هذه القفزة؟ كجزء من هيكلية تنظيمية، فإن إعلام حزب الله ووسائل إتصالاته ليست كيانات منفصلة وإنما أوجه مركزية للحزب. فهناك منظمة بنيوية ذات دوائر مختلفة. وكان حزب الله قادراً على على تأطير الحرب لإظهار أن مراسليه كانوا مرنين. فبعد عمليات القصف تقوم المنار بإرسال مراسلين في قوافل لتغطية الخبر. وعندما كان المراسلون في الموقع كانوا يبثون الخبر على الهواء على أنه نجاة للمراسلين بحياتهم المستهدفة من قبل الجنود الإسرائيليين.

علاوة على ذلك، أذاعت المنار جزءاً من شريط فيديو للشعب الإسرائيلي وهو يعبر عن شكه بشأن العمل العسكري وما إذا كان سيؤول الى النجاح. أما البروباغاندا المرئية كخريطة إسرائيل وهي تحترق وكليبات الرد السريعة فكانت تظهر هي أيضاً على شاشة المنار. لقد أسعف هذا الأمر، وحده، حزب الله في حملته كما ساعده في بروباغاندته الإنسانية. وقد قامت المنار بنشر عناوين أخبار كل ساعة وأظهرت حزب الله وهو يعطي الأموال للذين تكبدوا الخسائر. أما الناس الذين يظهرون على التلفزيون فيظهرون وهم يلوحون بأعلام حزب الله، أمل وأعلام لبنانية، حتى أن إمرأة ترتدي صليباً ظهرت هي أيضاً. هذه الكليبات المرئية أظهرت بأن حزب الله ليس عنصرياً؛ إنه لا يحارب لأجل حزب الله وإنما لأجل لبنان ككل.

ه. الإستنتاج

إن الأسلمة يمكن فهمها من خلال تطبيق مفاهيم عامة. فحزب الله حركة لها آلاف الداعمين والناشطين. وبتطبيق نظرية الحركة الإجتماعية، ندرك بأن حزب الله يتقاسم مع الحركات الإجتماعية حول العالم سمات عدة. فهذه " المجموعات الإرهابية" أكثر تعقيداً وتحتاج الى دراسة أكبر لفهم ما الذي يجعلها فريدة. إن الفصل التالي سيحلل حزب الله كمنظمة وكيف تلعب محطته التلفزيونية دوراً هاماً في نشر أجندته.

2. حزب الله والمنار

أ. مقدمة

إن حزب الله موجود بإنتظام على قائمة التقرير السنوي للإدارة الأميركية حول الجماعات الإرهابية برغم المشاركة في الحياة الإنتخابية المحلية والتظاهرات اللبنانية بأن حزب الله هو حركة مقاومة شرعية ضد إسرائيل.أما التبرير المتعلق بضم حزب الله على قائمة الإرهاب فتركز على أعماله الإرهابية تجاه الولايات المتحدة في الثمانينات وموقفه المعادي لإسرائيل. بالإضافة الى ذلك، تم تحميل حزب الله المسؤولية عن عدد من التفجيرات الإنتحارية بما في ذلك السفارة الأميركية و ثكنات المارينز في بيروت عام 1983، خطف طائرة TWA رحلة رقم 847 في العام 1985، وعمليات خطف. في كل الأحوال، إن حزب الله هو أيضاً حركة إجتماعية يملك آلاف المتعاطفين عبر الفئات الطائفية، بإنخراطه في أنشطة سياسية وإجتماعية، وتكيُّفه مع التغييرات في بيئته داخلياً وخارجياً.

إن إحدى الطرق التي تمكَّن فيها حزب الله من تدبر بقاء وإستمرار حركيته والدفع قدماً بأجندته السياسية هي من خلال محطته التلفزيونية المنار. وأظهر البحث بأن التغطية الإعلامية كان لها تأثير على نتائج الصراعات. هذا الفصل سيكون مقسماً الى جزئين. القسم الأول سيدرس أصل حزب الله وبنيته التنظيمية من خلال تاريخ موجز عن لبنان. أما القسم الثاني فسيركز على إنشاء محطة المنار، مشاهديها، والدعم المقدم لها. كما أن هذا الفصل سيدرس العلاقة بين الإعلام والمنظمة، ويظهر بأنها علاقة متصلة بعمليات تغيير سياسي وتكنولوجي.

ب. تاريخ موجز عن لبنان

من المنظور التاريخي، كان لبنان دولة حرب. فالإختلافات الموجودة بين الناس منعكسة جغرافياً بتحركات سكانية هائلة بين المناطق المسيحية والمسلمة. فبين عامي 1516 و 1918 كان لبنان وسوريا خاضعين للسيادة العثمانية وشكلا منطقة شمالية وجنوبية. أما الدلائل الأولى على الهوية اللبنانية فبالإمكان تتبعها وصولاً الى النصف الأول من القرن التاسع عشر. فخلال هذه الفترة، ورث الشهابيون، وهم عائلة مسلمة سنية، الإمارة على حساب الدروز والمسيحيين ومن ثم تحولوا الى المسيحية بحسب الشعائر المارونية، ومن ثم بسطوا حكمهم على كل منطقة جبل لبنان. وبرز الكيان اللبناني؛ الإنفصال عن سوريا، وضع الطوائف المارونية، الدرزية، والمسلمة تحت حكم حكومة واحدة.

ومع أصول ومؤسسات متنوعة بظل ظروف مختلفة، نمت مجتمعات دينية مختلفة في لبنان كمجموعات متميزة ذات سمة إجتماعية خاصة. وقد تطور الشيعة، الدروز، والموارنة كجبليين متمردين، ما يعني روحية إستقلال قوية. إن تاريخ الشيعة المطوَّل من الإضطهاد والقمع إنعكس قلة ثقة بالنفس سياسياً. أما الموارنة والدروز، الناجحين سياسياً أكثر، فيظهرون تنظيماً إجتماعياً أكثر إحكاماً وصرامة وهم متعودون على الحكم الذاتي. فالدروز تفوقوا، تقليدياً، على الموارنة في شعورهم بالتكاتف، إنضباطهم الإجتماعي، وطاعتهم الشديدة لزعمائهم، مرونتهم العامة وقدرتهم على التكيف.

تمتع السنة بالأمن الخاص للعضوية المميزة في دولة إسلامية عالمية. إذ لم يكن لديهم إهتمام بالحياة السياسية اللبنانية الداخلية وكانوا في غالبيتهم مكتفين بالتمتع بفوائد كونهم مسلمين. وبسبب إعتمادهم التقليدي على إمتياز الحكومة، فإنهم لم يطوروا مطلقاً مسألة الإعتماد على النفس الموجودة لدى طوائف لبنانية أخرى، كالموارنة والدروز. وبالنتيجة، وعندما إنهارت الإمبراطورية العثمانية وتم تنظيم وضع لبنان ككيان سياسي منفصل نهائياً تحت الإنتداب الفرنسي، عانى السنة من الخسارة ولم يعرفوا طريقة تمكنهم من تكييف أنفسهم وفق الوضع المتغيِّر. لقد أصبحوا عنصر عدم إستقرار في لبنان.

أما الهوية الدينية للشعب اللبناني العثماني فقد طُرحت جانباً لصالح الإصلاح الحديث ولنزاع لا ينتهي بين العثمانيين، الأوروبيين والنخب المحلية الناتجة عنهما حول العلاقة بين الدين والسياسة. إذ حاول المسؤولون الأوروبيون والعثمانيون الفوز بولاء المحليين، الفرنسيون بإدعائهم حماية الموارنة، البريطانيون بإدعائهم حماية الدروز، والعثمانيون بإستخدام إسم السلطان. وبالنتيجة، أخذت الكنيسة المارونية على عاتقها دوراً بارزاً في الحياة السياسية المحلية. إذ زعمت الكنيسة بأن المسيحيين الخاضعين للبنان العثماني بإمكانهم، وفقط بظل إمارة مارونية بقيادة أمير شهابي، التمتع بالهدوء، الأمن والإزدهار للتنظيمات. وبالرغم من أن حقبة جديدة قد حددت المصطلحات المجتمعية بدلاً من العلمانية، فقد عكست السياسات الطائفية التأزم الحاصل بين الضم والإقصاء بما يتعلق بالمشاركة السياسية.

ج. أصل حزب الله

إن مراجعة للأدب تبرهن بأن بالإمكان عزو تشكل حزب الله الى عوامل عديدة، تحديداً التمثيل غير الكاف للشيعة، الثورة الإيرانية والغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982. العامل الأول كان الإفتقار للتمثيل الإسلامي الشيعي في البنية السياسية للحكومة. وبناءً على إحصاء أجري في العام 1932، كانت المجموعات الأكبر هم المسيحيون الموارنة، المسلمون السنة، والمسلمون الشيعة. وبالإمكان إرجاع نقص السلطة التي إختبرها الشيعة الى الهيمنة السياسية للموارنة والسنة. ففي الوقت الذي تزايدت به نسب الولادات بالنسبة للسنة، فقد دعوا الى تمثيل أكبر لهم في الحكومة. وكان البلد مقسماً الى فئات دينية وبنتيجة ذلك كانت المناصب الحكومية موزعة وفق فئات طائفية كإعطاء الموارنة منصب الرئيس، السنَّة رئاسة الوزراء، والشيعة رئاسة المجلس النيابي؛ الذي كان عنواناً لعلاقة أكثر منه سلطة سياسية فعلية.

وعلى إمتداد السبعينات، إستخدم ياسر عرفات ورفاقه المسلحين في منظمة التحرير الفلسطينية لبنان كقاعدة لمهاجمة إسرائيل ومفاقمة التوترات المسيحية – الإسلامية. وعندما إندلعت الحرب الأهلية في نيسان 1975 بين المسيحيين الموارنة التابعين للجبهة اللبنانية والحركة الوطنية اللبنانية، طلبت الحكومة المهيمن عليها مارونياً الدعم من سوريا.

كان الشيعة في أسفل السلم الإجتماعي – الإقتصادي. فالنقص في التطور الإجتماعي و الإقتصادي كان عاملاً آخر في وضعهم كمواطنين من الدرجة الثانية. فمعظم الشيعة كانوا مزارعين يعيشون في قرى في جنوب لبنان أو في منطقة سهل البقاع المتخلفة. لقد إفتقروا للتعليم، وبصفتهم المجتمع الأكثر حرماناً في لبنان، فإنهم لم يتلقوا أياً من الخدمات المقدَّمة من قبل الحكومة.

أما العامل الآخر في تأسيس حزب الله فكانت الثورة الإيرانية، مصدر الإلهام والوحي للقادة الدينيين الشيعة في لبنان. فالثورة الإيرانية برهنت بأن مجتمعاً شيعياً منظماً جيداً بإمكانه الدفع قدماً لعمل سياسي ضد القمع والإتكال على ثقافة أميركا العلمانية. وقد لعب آية الله الخميني دوراً هاماً في تحريك المقاومة وصولاً الى التطورات في إيران.

كان العامل الثالث لتطور حزب الله غزو 1982 الإسرائيلي للبنان. إذ إندفعت المجموعات الشيعية لملأ الثغرة بعد طرد منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان. كان هناك وعياً إسلامياً متنامياً بين اللبنانيين الشيعة في حركات مثل حركة المحرومين أمل ، التي أسسها في العام 1975 السيد موسى الصدر الإيراني المولد. أراد الصدر التعاون مع موارنة لبنان في مقابل قيادة المجتمع الشيعي. كانت حركة أمل قوة عسكرية لضمان موقع الجماعة. وقد إختفى الصدر في العام 1978 في أثناء رحلة له الى ليبيا وكانت الحادثة مصدر خلاف ونزاع بين الجمهورية الإسلامية وليبيا. وجاء عدد من مجندي حزب الله من حركة أمل، بمن فيهم أتباع حسين الموسوي ومصطفى الديراني، وهما راديكاليان ومن غير رجال الدين. وكانت إسرائيل قد إتصلت مع قادة شيعة قبل غزو 1982 لخلق حليف معاد للفلسطينيين في لبنان. ورحب الشيعة بالغزو وفي ظنهم أنه سيزيل القوات الفلسطينية من الجنوب، لكنهم تحولوا لاحقاً ضد إسرائيل بعد الغزو والإحتلال.

وفي الوقت الذي إستمر فيه القتال في شرق بيروت، أرسلت إيران الحرس الثوري للمساعدة في محاربة الإسرائيليين. وبدأ الحرس الثوري بنشر الثورة الإسلامية الإيرانية بين الشيعة بالإضافة الى تقديم برامج الإنعاش الإجتماعي، المدارس والمستشفيات. وبحلول نهاية العام 1982 بدأ رجال الدين الشيعة الذين تعلموا في العراق والمسلحين من غير رجال الدين بدعوة أنفسهم بـ "حزب الله"، التسمية الآتية من آية في القرآن تقول، " إن حزب الله هم الغالبون". وبمساعدة من إيران، تم إعطاء حزب الله السلاح، معلمين إسلاميين، تجهيزات عسكرية وملايين الدولارات.

د. منظمة وعمليات

ظلت بنية حزب الله التنظيمية، سياسياً وعسكرياً، مرنة، ما سمح له بالبقاء فترة أطول من ميليشيات أخرى. تقليدياً، كانت المنظمة مبنية على أساس السلطة الشخصية وعلى زعمائها الدينيين وقادة ميليشياتها، الى جانب عشائر وعائلات. وقد حاول حزب الله أن يكون أكثر مركزية وهيكلية بتشكيله مجلس شورى خاضع لسيطرة الأمين العام ونائبه. فهناك ثلاث مجالس محلية موازية ومشابهة في مناطق نفوذه الأكبر في لبنان: سهل البقاع (أساس معظم كبار رجال الدين في حزب الله)، ضواحي بيروت الجنوبية (حيث تهجَّر كثير من الشيعة خلال حرب 1975 – 1990 الأهلية)، والقرى الشيعية التقليدية في جنوب لبنان.

أما مجلس الشورى الأعلى، وهو أعلى سلطة في الحزب، فمؤلف من 17 عضواً بمن فيهم الأمين العام حسن نصرالله، نائبه، القادة الدينيين والمدنيين شبه العسكريين. يأتي تالياً مجلس الشورى التنفيذي الذي يشرف على أنشطة المناطق والمكتب السياسي الذي ينسِّق العمل للجان المختلفة الأدنى منه. ويتم تنفيذ قرارات مجلس الشورى عن طريق دائرة سياسية مختارة من قبل هيئة إنتخابية من المفوضين تجتمع في الهيئة التشريعية (الكونغرس) كل 4 سنوات. وتشرف لجنة تنفيذية منفصلة على الوحدات المحلية والإدارات الإدارية العديدة، كالشؤون الإجتماعية، المالية، شؤون الإتحاد التجاري، التعليم، الصحة، والمعلومات. أما المنار، محطة الحزب التلفزيونية، فمتوفرة بواسطة الفضائية وهي خاضعة لدائرة التعزيز، التجنيد والبروباغاندا. إنها المنفذ الرئيس للمعلومات والبروباغاندا بما يتعلق بأجندة المنظمة وسيتم درسها لاحقاً في هذا البحث.

هناك قوة هامة لحزب الله هي قدرته على إيصال الخدمات الإجتماعية أينما وعندما لا تتمكن الحكومة من ذلك. وهذا الأمر جعل الحزب محبوباً بين اللبنانيين الشيعة، مجتذباً مجندين في صفوفه ومستولياً على الدعم من منافسته حركة أمل. إذ وفَّر حزب الله المياه النظيفة، المستشفيات وعيادات طبية ثانوية؛ أدار مدارس مجهزة بفرق عمل من الأساتذة الكفوئين جداً، قدَّم تسهيلات لمساعدات عامة، وأعاد بناء بيوتاً متضررة للبنانيين فقراء. وخلال عاصفة شتوية في العام 1991 – 1992 نظم حزب الله فرقاً من عمال الإغاثة لفتح الطرقات وتوزيع الطعام ومواد تموينية أخرى لقرى مقطوعة وسط العاصفة. بالإضافة الى ذلك، موَّل جهاد البناء، وهو ذراع لحزب الله، عمليات إصلاح وترميم لأكثر من 1000 منزل في جنوب لبنان عقب هجوم إسرائيلي داخل منطقتين شيعيتين شمال قرى المنطقة الأمنية (الشريط الأمني الحدودي).

إن القواعد العسكرية الرئيسة موجودة في سهل البقاع. فالمقاتلون يميلون للعمل بطريقة الإنتشار، وحدات صغيرة تجنباً لأن يكونوا هدفاً مركزاً مع معلومات ودعم يأتيان من سكان شيعة محليين. أما مؤخراً، فقد إبتكر مقاتلو حزب الله في جنوب لبنان تكتيكات جديدة، التسلل الى المنطقة الأمنية لإسرائيل والإنتظار في كمين لأيام لضرب دوريات إسرائيلية من مسافة طويلة. وتقوم بعدها وحدات الدعم القريبة بضرب نقاط إسرائيلية قوية بالمورتر في الوقت الذي تهرب فيه وحدات التسلل من المنطقة.

خلال الإحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان (1982 – 1985)، قام حزب الله بعمليات تفجير سيارات، شاحنات وكذلك تفجير عبوات عن بعد ضد القوات الإسرائيلية. فالميليشيا، وهي قوة خفيفة، كانت مجهزة بأسلحة صغيرة (بنادق

أتوماتيكية)، مورتر، قذائف صاروخية، وصواريخ الكاتيوشا. وقد شوهد أيضاً رجال الميليشيا مع دبابات وحاملات جند تم الإستيلاء عليها من الجيش اللبناني أو تم شراؤها من مقاتلي عصابات فلسطينيين. وفي العقدين الماضيين كانت ضريبة القتال بين القوات الإسرائيلية وحزب الله شديدة لدى الجانبين. فرغم أن إسرائيل تزعم بأنها إنسحبت بالكامل من لبنان، فإن حزب الله يبرِّر الهجمات على أنها مقاومة ضد الإحتلال الإسرائيلي لمزارع شبعا المتنازع عليها في مرتفعات الجولان، التي إستولت عليها إسرائيل في حرب عام 1976.

ه. المنار

1. إنشاؤها

على إمتداد تاريخه، كانت إيديولوجية حزب الله المقاومة. فبالإضافة الى قوته القتالية، كان الحزب قادراً على نشر إيديولوجيته ليس فقط في لبنان وإنما على إمتداد العالم العربي من خلال محطته التلفزيونية. فمديرية البرامج تشدد على مفاهيم مثل " القمع" و "الإحتلال" وكذلك على وجود إسرائيل كإرهاب. وبالرغم أن المنار نفسها لا تنفذ أعمال الإرهاب، فإنها تروِّج لأعمال المقاومة وتعتبر أنشطة العنف ضد إسرائيل شرعية. علاوة على ذلك، يرى حزب الله الدعم الأميركي لإسرائيل على أنه تجاوز وتغاضٍ عن سلوك الإسرائيليين القمعي.

كانت المحطة التلفزيونية الأولى التي تبث في لبنان هي "الشركة اللبنانية" (CLT) وذلك في 28 أيار عام 1959. وبمرور الوقت بدأت محطات إضافية بالبث وفي منتصف الثمانينات أطلقت مجموعة صغيرة درست الإعلام في لندن قناة المنار.

في العام 1989 وضع إتفاق الطائف حداً للحرب الأهلية. وقد نقل هذا الإتفاق السلطة من الرئاسة البنانية وإستثمرها في مجلس وزراء مقسم بالتساوي بين المسلمين والمسيحيين. كما دعا الإتفاق أيضاً الى تنظيم الإعلام اللبناني، بما في ذلك التلفزيون. وبعد الحرب بدأ حزب الله يلعب دوراً في الحياة السياسية وقرر تأسيس محطة تلفزيون للوصول للشعب اللبناني. وبدأت المنار تبث في 3 حزيران عام 1991. وفي العام 1994 كانت كل المحطات التلفزيونية خاضعة لترخيص حكومي.

في العام 1996 تم إعطاء الرخص الحكومية لخمس محطات تلفزيونية فقط هي:

- تيلي ليبان (TL)، محطة الحكومة الرسمية؛
- الشركة الدولية للبث اللبناني (LBCI)، الممثلة للمسيحيين الموارنة؛
- تلفزيون المر (MTV)، الممثل للمسيحيين الأرثوذكس اليونانيين؛
- شبكة البث الوطنية (NBN)، الممثلة للبنانيين الشيعة.

وقد تم إغلاق حوالي 50 محطة وإرتفعت الإنتقادات بأن الإنتقائية في إعطاء الرخص كانت على أساس إعتبارات سياسية وطائفية وليس وفق معايير إحترافية ومهنية. وخلال تلك الفترة إستمرت المنار بالبث. وبصفته الميليشيا الوحيدة المتبقية بظل إتفاق الطائف، كان يُنظر الى حزب الله على أنه قوة قادرة على إزالة إسرائيل من جنوب لبنان. وهكذا، ومع نفوذ الرئيس السوري حافظ الأسد، منح مجلس الوزراء اللبناني قناة المنار رخصة عمل.

وفي العام 2000 أطلقت المنار قناة فضائية وهي المحطة الوحيدة التي تبث 24/24 ساعة. وكونها موجودة في حارة حريك، الضاحية الجنوبية الفقيرة لبيروت، تتواجد المنار في 6 أبنية للأنباء مع غرف أخبار، ستوديوهات، شاشات تلفزة وتجهيزات أخرى بالإمكان إيجادها في محطات تلفزيونية أخرى. هناك أمور عديدة تجعل من المنار محطة مختلفة عن غيرها. أولاً، هناك حرس أمني موجودين في مراكزهم خارج المبنى يتحققون من هوية الزائرين. ثانياً، إن الموظفين المتلقين للتدريب الوظيفي هم في العشرينات والثلاثينات من أعمارهم. يرتدي الموظفون البذلات وترتدي الموظفات الحجاب الإسلامي التقليدي. وليس مطلوباً أن يكون الموظفون أعضاء في حزب الله. في كل الأحوال، معظم المراسلين عملوا كمقاتلين في حرب العصابات قبل العمل في تلفزيون المنار. بالإضافة الى ذلك، هناك مراسلون خصوصيون في الأراضي الفلسطينية والعراق وكما أن هناك فلسطينيون يتحدثون العبرية. ويتم تقديم مناهج تدريب خاصة للموظفين "لتعزيز خلفياتهم السياسية، الإجتماعية، الثقافية، والتقنية."

2. جمهورها

على خلاف محطات إخبارية أخرى، المنار غير مهتمة بأن تكون موضوعية ومتوازنة. فهدفها هو نشر بروباغاندا " لشن حرب نفسية ضد الكيان الصهيوني." أما الجمهور- الهدف التقليدي فكان الشعب اللبناني. ففي السنوات القليلة الماضية، ومع إمتدادها الفضائي، تطوّق المنار العالم العربي وكذلك الإسرائيليين. وقد زادت قناة المنار، وبثبات، عدد مشاهديها خاصة في أوقات الصراع في جنوب لبنان والأراضي الفلسطينية.

3. تمويلها

تتلقى المحطة، على ما قيل، الأموال من إيران. في كل الأحوال يحافظ مسؤولو المحطة على القول بأن المحطة تنصاع للقوانين اللبنانية وبأنها لا تتلقى أموالاً من حكومات أجنبية. ويأتي الدعم المالي الآخر من هبات من داعمين شيعة حول العالم. هناك أيضاً راعون متعاونون بما يخص الإعلان التجاري والتمويل الآتي من قطاع الأعمال مثل شركات البناء، مصانع الآلات الثقيلة، وعمليات تهريب المخدرات الموجودة في بيروت، جنوب لبنان، وسهل البقاع.

ز. إستنتاج

هذا الفصل درس تاريخ لبنان، حزب الله والمنار. لقد برهن حزب الله بأنه حركة إجتماعية مسيَّر سياسياً وإيديولوجياً ذي أهداف واضحة وخبرة ممتدة في حرب العصابات. لقد عزز الإنسحاب الإسرائيلي من لبنان عام 2000 وحرب تموز 2006 الأخيرة، والى حد كبير، من مكانة المنظمة في الشرق الأوسط وأعطى الإنطباع بأنه سيكون هناك نصر في الصراعات المقبلة مع إسرائيل. أما البروباغاندا فمنتشرة أكثر من خلال محطتهم التلفزيونية. وفي حين كان هناك تشديد، في السنوات الأولى للمنظمة، على تأسيس دولة إسلامية على نموذج إيران، لم يعد يبدو الحال كذلك الآن. إن إنخراط حزب الله في الحكومة اللبنانية يمثل حصاداً لسنوات من جهود الشيعة بأن يكون لهم دور مهم وبارز في النظام السياسي اللبناني. أما الفصل التالي فسيحلل الطريقة التي يستخدم بها حزب الله الإعلام للتأثير على الرأي العام بما يتصل بالتغييرات في بيئته المحلية.

3. الموقف السياسي

أ. الأحداث الأساسية من العام 1990 حتى العام 2000

هذا الفصل من البحث سيحلل التقنيات الإعلامية لحزب الله مستخدماً ثلاث نماذج من الأطر – إطار الحكم، الإطار العسكري والإنساني. هذا القسم سيكون مقسماً الى جزئين. الجزء الأول سيغطي الفترة الممتدة من العام 1990 حتى عام 2000، مع تشديد على الإنتخابات البرلمانية الأولى لحزب الله الذي يأخذ حيِّزاً منه. أما الجزء الثاني فسيغطي الفترة الممتدة من العام 2000 (الإنسحاب الإسرائيلي)، حتى الفترة التي سبقت حرب تموز. وسيظهر هذا الفصل كيف كان حزب الله قادراً على إستخدام الإعلام للتأثير على الرأي العام.

1. خلفية تاريخية

كانت الفترة الممتدة من العام 1990 وحتى الـ 2000 هامة بالنسبة لحزب الله بما يتعلق بترسيخ شرعيته. فإتفاق الطائف أنهى الحرب الأهلية وقسم بالتساوي المقاعد البرلمانية بين المسلمين والمسيحيين، على عكس التوزيع السابق الذي كان 6 مقابل 5 لصالح المسيحيين. فالمقاعد النيابية مقسمة الى حصص طائفية مع 27 مقعداً لكل طائفة من الطوائف الكبرى – الشيعة، السنة، والموارنة. وقد عكس إتفاق الطائف الجماعات المجتمعية بصفتها جزءاً من البنية الإجتماعية اللبنانية وكان لهذا الإتفاق ثلاث سمات مميَّزة. السمة الأولى، تقاسم السلطة من قبل الرئيس، وهو ماروني؛ رئيس الوزراء، وهو سني؛ ورئيس المجلس النيابي، وهو شيعي، حيث لكل واحد من هؤلاء سلطة الفيتو على الإثنين. وكان للرئيس سلطة زائدة لناحية وضع مسودة قوانين والإشراف عليها. في كل الأحوال، إن القرارات التي تؤثر على الأمن الوطني يجب أن تنال موافقة أكثرية الثلثين. الثانية، إغتنمت سوريا الفرصة لفرض ضغوط خارجية على لبنان، مروِّجة للعلمانية ومحافظة على وجود لها من خلال قواتها. أما السمة الثالثة، فهي عزم إتفاق الطائف على " إنشاء مؤسسات جديدة في مجالات الإشراف

الدستوري، إستقلالية القضاء، التنظيم الإقتصادي، الحماية الإجتماعية، واللا مركزية الإدارية، وذلك لتقوية الدولة وتشجيع تقاسم السلطة.

صرَّح البيان الوزاري للعام 1991 بأنه يجب حل الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية، ونزع سلاحها وإعادة تأهيلها كنوع من التصحيح المجتمعي وطريقة لإعادة تأسيس سلطة الدولة. وطُبِّق البيان على الميليشيات الرئيسة التالية - الجيش الشعبي التابع للحزب التقدمي الإشتراكي، حركة أمل، القوات البنانية، وميليشيات محلية مختلفة أصغر حجما. في كل الأحوال، لم يسلم حزب الله وجيش لبنان الجنوبي أسلحتهما؛ ولم يغلقوا مراكز قيادتهما، أو مخيماتهما التدريبية. وبما أن حزب الله لم يدخل الحرب الأهلية كما أنه أمسك عن إستخدام السلاح لحل أية خلافات سياسية، فإنه إعتبر نفسه قوة مقاومة ولذا فقد أستُثني من التصنيف الميليشياوي.

ومع عدم رضاه وإقتناعه بإتفاق الطائف وبالنظام الإنتخابي اللبناني، قرر حزب الله المشاركة في الإنتخابات البرلمانية الأولى ما بعد الحرب في العام 1992. وقدم الشيخ نعيم قاسم، نائب الأمين العام لحزب الله، الفوائد العديدة للمشاركة في الإنتخابات. أولاً، بإمكان التمثيل في البرلمان إستجرار الإهتمام والدعم للمقاومة. ثانياً، بالإمكان إسماع القضايا المتعلقة بمعايير مستوى العيش في المناطق المحرومة. ثالثاً، أتاحت المشاركة معرفة التشريع كما أتاحت شبكة من العلاقات السياسية. وأخيراً، إمكانية تقديم وجهة النظر الإسلامية. في كل الأحوال، تضمنت العقبات العدد المحدود للممثلين المسموح لهم بالدخول الى البرلمان والممر التشريعي الذي قد لا يتطابق ومبادئ الشريعة (الإسلامية). ولم تتعارض هذه الأمور مع أولوية مقاومة الإحتلال الإسرائيلي إذ قررت المنظمة أن تأخذ حيزاً لها في الإنتخابات. وقد فاز حزب الله وحلفائه في الإنتخابات من غير الشيعة بـ 12 مقعداً، بما فيها 8 مقاعد للشيعة.

2. الإطار الإعلامي في التسعينات

لفهم التغطية الإعلامية للأحداث في لبنان من الضروري الأخذ بالإعتبار المحتوى التي تحصل فيها هذه الأحداث. وقد أنشئت المنار في أوائل التسعينات، وبحسب مديرها العام الأول علي ضاهر، فقد أنشئت "للتعبير عن وجهات نظر المقموعين... وتأييد كتلة إعلامية تحترم الأخلاق والتقاليد الإسلامية. إن الهدف من المحطة هو إظهار الحقائق، التركيز على عدائيتنا وكراهيتنا تجاه إسرائيل ونظام حكومتها العنصري، التي نرى سقوطها مبدأ جوهرياً من مبادئنا." وبما أن بث المحطة لم يكن يصل سوى الى داخل البلاد، فقد ركزت مديرية برامج المنار بشكل رئيس على القضايا المحلية، مشددة على الدين والمصلّين. وكانت البرامج مقسمة الى أناشيد، برامج "توك شو"، مسلسلات ودراما، أخبار، برامج للأطفال والعائلة. أما برامج الدراما الوثائقية فمكرَّسة لرجال العصابات الذين ماتوا وهم يقاتلون ضد إسرائيل. وتدوم الأناشيد حوالي ثلاث دقائق وتعبر عموماً عن 7 مواضيع هي:

- الترويج للذات، والذي يدور عادة حول توصيف حزب الله كمحرِّر لجنوب لبنان.
- أهمية المقاومة وعمليات حرب العصابات، والدور البارز لقادة حزب الله (خاصة نصر الله والشيخ عباس الموسوي، الأمين العام الثاني لحزب الله).
- ألق الشهادة.
- حمَّى معاداة الأمريكيين.
- إسرائيل والصهيونية بصفتهما تجسيداً للإرهاب.
- مستقبل الشباب العربي (تحديداً، الفكرة بأن إسرائيل تقتل مستقبل العالم العربي بقتلها أطفاله).
- دمار إسرائيل (هذا الموضوع غالباً ما يتم التأكيد عليه بالرجوع الى إحتلال القدس).

○ أطر الحكم

بالرغم أنه لم يتم منح المنار رخصة عمل حتى تموز 1997، فإن المحطة لم تتوقف عن البث حتى وقتنا هذا. كان المقصد التأثير على الدعم والفهم اللبناني للقضايا المحلية. وخلال الإنتخابات البرلمانية الأولى ما بعد الحرب لم يكن حزب الله متعوداً على العمل وعلى تحريك الجهود، الأمور المطلوبة للإنتخابات. في كل الأحوال، كان حزب الله قادراً على خلق حملة منظمة، ساحباً إليه ليس المتدينين فقط، وإنما أولئك المؤمنين بوجهات نظر وأعمال حزب الله. وقد تزايدت التغطية المنتظمة من 5 ساعات في اليوم الى 7 مع عناوين إخبارية تنشر رسالة

حزب الله للناس. أما على المستوى السياسي، فقد كان لحزب الله 6 أهداف أراد تحقيقها. الهدف الأول، حماية لبنان من إسرائيل. وهذا كان يعني تأسيس برنامج لإرشاد المجندين في صفوفه دفاعاً عن جنوب لبنان والبقاع الغربي. الثاني، التعاون مع المخلصين لإلغاء النظام الطائفي. الثالث، السماح للشعب اللبناني بإختيار ممثليه بإعتبار لبنان دائرة واحدة. الرابع، السماح بحرية التعبير الديني والعمل السياسي. حيث يكون للإعلام مجموعته الخاصة من الحقوق لكن عليه إحترام الأخلاق والآداب العامة أيضاً. خامساً، منح الجنسية اللبنانية. وأخيراً السماح للمهجَّرين بالعودة.

كان نجاح حزب الله يعود الى وجود الداعمين للحزب في كل عملية إقتراع وهم يرتدون لباساً محدداً مميَّزاً ووجود إتصالات دائمة مع المراقبين. وبحلول إنتخابات 1996 تم نصب هوائيات إضافية في شمال لبنان وعلى إمتداد جبل لبنان لزيادة عدد مشاهدي محطة المنار. إضافة الى ذلك، كان حزب الله قادراً على تمثيل طوائف مختلفة على مستوى مناطقي عن طريق تأسيس إئتلاف من برلمانيين – 8 من الطائفة الشيعية، 2 من السنة، 1 من الروم الكاثوليك، ومسيحي ماروني واحد. وتثبت المشاركة في إنتخابات 1996 و 2000 بأن حزب الله كان قادراً على الوصول الى المجموعات المختلفة. فقد شارك الحزب بنشاط في النقاشات المتعلقة بالتشريع وإجراءات الموازنة بالنسبة للمناطق المحرومة من لبنان. وكانت التغطية الإعلامية قادرة على حشد الرأي العام اللبناني حول قضايا مهمة بالنسبة له.

○ الأطر العسكرية

لم تركز تغطية المنار خلال الصراعات العسكرية كعملية الحساب في العام 1993 وعملية عناقيد الغضب في العام 1996 إهتماماً كبيراً على القضايا العسكرية والإستراتيجية. بدلاً من ذلك، كانت الأطر العسكرية أكثر بيانية وشددت على الأضرار اللاحقة بالأبنية والبنى التحتية التي تسببت بها إسرائيل. ففي عملية الحساب إستخدمت إسرائيل سلاحها الجوي، البحري، والمدفعية البرية لإستهداف الجنوب، البقاع، والمخيمات الفلسطينية في الشمال قرب بيروت. وإنتهى الهجوم بموت 140 مدني بمن فيهم 13 عضواً من المقاومة، وجُرح 500 مدني وتهجَّر ما يقرب من 200000 من سكان جنوب لبنان. أما عملية عناقيد الغضب فبدأت بغارة جوية إسرائيلية في نيسان 1996. وتابعت الغارة لتصل الى قاعدة للجيش اللبناني في صور تبعها قصف لمبنى في حارة حريك في ضاحية بيروت الجنوبية. وكانت العملية أكثر عدائية من تلك في العام 1993 بما أنها كانت، جغرافياً، أكبر ودامت فترة أطول. وبالإجمال، مات 250 مدني بمن فيهم 4 أعضاء في المقاومة، وتهجَّر الآلاف.

وقد تعاملت تغطية المنار مع كلا الصراعين بمرونة. فكونه حاضراً في المشهد، كان حزب الله قادراً على إستخدام المنار لبث صوراً حية عن منازل مدمرة بالإضافة الى قتلى وجرحى من المدنيين. فصور المجزرة في قانا أثبتت، بصورة خاصة، كم كانت مضرة بإسرائيل. كما أفضى حزب الله أيضاً لتطورات حول نقاشات مع أحزاب سياسية لبنانية مختلفة للإجتماع معاً والوحدة ضد الإعتداء الإسرائيلي. وبالنتيجة، أبرزت المنار إسرائيل، وبشكل فعال، بصورة سلبية.

وقد ركز التأطير الرئيس للجهود العسكرية على القتلى المدنيين في الوقت الذي كان دقق في تدمير المنازل والبنى التحتية.

○ الأطر الإنسانية

إن معظم أطر تغطية المنار للصراعات تتعلق بالإصابات البشرية والمعاناة الشخصية للُبناني. فالصور ليست بالمقبولة (من حيث إزالة العناصر غير السارة) بحيث أن هناك صوراً بيانية للقتلى والدمار التي من المؤكد أن لديها تأثير عميق على الجمهور. فالمراسلون يقومون بإجراء مقابلات مع أطفال جرحى ناجين فقدوا كل أفراد عائلاتهم، أو مع أفراد يبحثون بين الأنقاض عن أقاربهم. هذه الصور لوحدها لا تحتاج لكلمات كي تجعل المشاهدين يتعاطفون مع الفرد. وبالإضافة الى إرسال التقارير حول الصراعين الرئيسيين خلال عام 1990 وحتى عام 2000، فقد إستخدم حزب الله الإعلام لإبراز نفسه كمساهم في الخدمات الإجتماعية.

أسس حزب الله جمعية جهاد البناء للبناء والتطوير وإصلاح البيوت المتضررة من جراء العدوان الإسرائيلي منذ العام 1991. إذ يتم توفير مياه الشرب الى مناطق لا تتلقى الخدمات العامة، كضاحية بيروت الجنوبية، وهي خدمة مجانية. كما يراقب حزب الله نشاطات زراعية، ويقدم تدريباً مهنياً للقرويين. وأسس الحزب الهيئة الصحية الإسلامية كما يدير 9

مراكز صحية، موفراً طبابة وخدمات صحية مجانية. وهناك مؤسسات أخرى مختلفة أسسها حزب الله. وتتسلسل هذه المؤسسات من تقديم الدعم التعليمي الى المحتاجين، الى العناية بالجرحى (من المدنيين ومقاتلي المقاومة)، وصولاً الى مؤسسات خيرية تقدم الدعم المالي لعائلات الشهداء الذين قدموا حياتهم في سبيل المقاومة. وبالرغم أن العمل الإجتماعي يسير جنباً الى جنب مع المقاومة، فغالباً ما يُنظر إليه من قبل الغرب على أنه نموذج للتجنيد. ووفقاً لحزب الله، فإن الخدمات التي يقدمها ما هي إلا للتخفيف من عبء أولئك الذين عانوا نتيجة العدوان الإسرائيلي. كما أنها تساعد الحزب على الحفاظ على دعم قضيته.

ب. الأحداث الأساسية من العام 2000 وحتى العام 2006

1. خلفية تاريخية

برغم قرارمجلس الأمن الدولي رقم 425 الممرَّر في العام 1978 الذي دعا إسرائيل الى إحترام حدود لبنان المعترف بها دولياً والى سحب قواتها من الأراضي اللبنانية، فقد إمتد إحتلال إسرائيل لجنوب لنان لأكثر من عقدين. وتم إنتخاب إيهود باراك رئيساً لوزراء إسرائيل في العام 1999 ووعد بالإنسحاب من لبنان في غضون عام واحد من توليه منصبه. إما من خلال مفاوضات ثنائية مع سوريا أو أحادياً. وقد فشل النقاش التمهيدي بين إسرائيل وسوريا في آذار 2000. إذ رفض باراك التخلي عن أرض سورية بمحاذاة بحيرة طبرية ، الأمر الذي وجده السوريون غير مقبول. ونتيجة لذلك ركزت إسرائيل على الإنسحاب الأحادي. وخلال هذا الوقت حافظ حزب الله على موقف غامض. فهو لم يعلن مباشرة بأن العنف سيتوقف بعد الإنسحاب الإسرائيلي. وتعلم بروباغنديو حزب الله اللغة العبرية وبدأوا بإستخدام محطة التلفزيون لبث نتائج العدوان الإسرائيلي باللغة العبرية. وبحلول عام 2000 تحول الرأي العام الإسرائيلي لصالح الإنسحاب من لبنان. وإنسحبت إسرائيل في أيار وتدفق السكان المهجَّرون فوراً الى الجنوب لإستعادة منازلهم وقراهم.

وفي الصيف التالي تصاعد جدل داخل حزب الله حول ما إذا كان على الحزب التركيز على القضايا السياسية اللبنانية أم الحفاظ على وضعية المقاومة. وبعد نقاشات حزبية داخلية، إستمر حزب الله في المقاومة مستخدماً عمليات خاصة بمجموعات شبه عسكرية عن طريق مهاجمة دوريات إسرائيلية في مزارع شبعا. ويدعي لبنان ملكيته للمزارع بحيث يتيح الوجود العسكري الإسرائيلي لحزب الله الإحتفاظ بموقفه العسكري مدعياً بأن إسرائيل لم تنسحب بالكامل من البلاد.

ومن العام 2000 وحتى عام 2006، قُتل مدني إسرائيلي واحد بأسلحة حزب الله، وقتل 5 مدنيين إسرائيليين في عملية فلسطينية، مات 9 جنود إسرائيليين في هجمات في منطقة المزارع كما قُتل 8 آخرين على طول "الخط الأزرق". وجُرح 21 جندي إسرائيلي على الأقل وقُتل ما مجموعه 17 جندي إسرائيلي في مقابل معدل وسطي يقدر بـ 25 جندي إسرائيلي سنوياً ماتوا خلال الإحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان. وكانت فترة الست سنوات فترة هادئة نسبياً مقارنة بالمقاييس الماضية.

وفي تشرين أول 2000 أسر حزب الله 3 جنود إسرائيليين في مزارع شبعا ولاحقاً أطلق سراح الجثث في العام 2004. ونتيجة لتلك العملية، إستمرت إسرائيل بإنتهاكاتها الروتينية للأجواء والمياه الإقليمية اللبنانية. فالطائرات الحربية الإسرائيلية تحلق فوق بيروت خارقة جدار الصوت. وسرعان ما بدأ حزب الله بإطلاق أسلحة مضادة للطائرات، مع سقوط بعض هذه الذخائر في إسرائيل. كما أطلق حزب الله صواريخ الكاتيوشا على مرتفعات الجولان. وأصبحت فصول العنف في مزارع شبعا أمراً روتينياً بين حزب الله وإسرائيل.

كانت الإنتفاضة الثانية، أو الثورة الفلسطينية، جزئياً، من وحي نجاح حزب الله في إجبار إسرائيل على الإنسحاب. فأعلام حزب الله ترفرف في عدد من المخيمات الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، كما لعب حزب الله دوراً هاماً في تدريب فلسطينيين معادين لإسرائيل. في كل الأحوال، شدَّد نصر الله على أن الفلسطينيين مسؤولون عن تحرير فلسطين وبأن تحرير مرتفعات الجولان أمر يخص سوريا. وخلال هذه الفترة أيضاً بدأت المنار بث بروباغاندا فضائية الى عدد من الفلسطينيين. ووصل عدد مشاهدي المنار الى ذروته في العام 2001، ليهبط في العام 2003 ليعود ويرتفع من جديد الى المرتبة السادسة بحلول عام 2006.

2. التأطير الإعلامي في العام 2000 وحتى العام 2006

دلَّ إطلاق قناة المنار الفضائية على الحرية من الإحتلال الإسرائيلي. في البداية، كان لدى المحطة 3 ساعات من البرامج. بعد ذلك بدأت المنار تبث 24 ساعة وذلك بغرض إستهداف العالمين العربي والإسلامي، لإعطاء المشاهدين شعوراً بأنهم

جزء من شيئ أكبر. وبدأت المنار بعرض نفسها كحارس للقيم الإسلامية. وتحول تشديد المحطة من التركيز على محاربة إسرائيل الى دعم الفلسطينيين وحماية لبنان. وتتضمن إضاءات المحطة بث أنشطة المقاومة، كجنود حزب الله وهم ملتزمون مراقبة الحدود أو إمرأة تتم حراستها لتنام آمنة قريرة العين.

- أطر الحكم

في الفترة التي أعقبت الإنسحاب الإسرائيلي من لبنان، كانت فلسطين والحياة السياسية المحلية اللبنانية لا تزالان في سلم أولويات إهتمامات حزب الله. في كل الأحوال، كان هناك هدفان من العام 2000 الى 2004 – الولايات المتحدة وإسرائيل. وتغيَّرت لهجة برامج المنار بشكل بارز وهام مع بث أشرطة تحمل بروباغندا أكبر تضيئ على الإنسحاب، حملة حزب الله العسكرية، تحرير الجنوب وضعف إسرائيل العسكري. وكان هناك تبريرات عديدة لهذا التغيير في التركيز:

- حدود لبنان والتي يعود إليها حزب الله بصفتها " فلسطين الـ 1948".
- من منظور المنار، الفلسطينيون مقموعون.
- لأن الفلسطينيين ساعدوا حزب الله في معركته ضد إسرائيل، فإن على حزب الله تقديم خدماته بالمقابل.
- يتقاسم الفلسطينيون واللبنانيون عدواً مشتركاً: إسرائيل.

ففي أحد الكليبات، ظهرت صور للصراع الإسرائيلي – الفلسطيني مروِّجة لـ "محطة المقاومة" وجذابة للعرب والمسلمين، وللأمهات الباكيات على أولئك الذين قضوا. فأشرطة البروباغندا بدأت تدعو لوحدة العرب، مستهدفة بشكل خاص المواطنين العرب – الإسرائيليين للإنضمام الى الكفاح الفلسطيني. ولإستثارة أكبر للمشاعر المعادية لإسرائيل، زعمت المنار بأن إسرائيل كانت مسؤولة عن هجمات ١١ أيلول 2001.

ومن العام 2000 وحتى العام 2004 ظهر الأمين العام حسن نصرالله على المنار مرات عدة محاولاً حشد العرب الذين بإمكانهم، بأعدادهم فقط، تحرير فلسطين والقدس. وكانت جهوده مصوَّبة على المواطنين والحكومات بسبب فشلهم بدعم الفلسطينيين بالكامل. وشجعت المنار العرب والمسلمين على أن يصبحوا أكثر نشاطاً وفاعلية في النزاع، داعية الى التظاهرات. إذ كان هناك شريطيْ فيديو عبَّرا بوضوح عن هدف إسرائيل بتدمير إسرائيل – "الموت لإسرائيل" و " قوموا، قوموا، أيها العرب". وتظهر هذه الأشرطة مفجرين إنتحاريين وآثار الهجمات الإرهابية. إضافة الى ذلك، يركز برنامج "توك - شو" بعنوان بيت العنكبوت على ضعف إسرائيل والإستراتيجيات لكيفية إلحاق الهزيمة بها. كما أبرزت المنار الصهيونية بصفتها إرهاباً، مسؤولة عن موت أطباء، ممرضين، رجال دين وكبار في السن.

أما الجزء الثاني من برامج المنار فكان موجهاً الى الولايات المتحدة. إذ ركزت المنار على الولايات المتحدة بصفتها بلداً قمعياً، خاصة معاملتها للأميركيين الأصليين ومصادرة أرضهم. وغالباً ما يحذِّر ضيوف البرامج المشاهدين في فلسطين والعالم العربي بقولهم أنهم هم أيضاً سيعانون كالأميركيين الأصليين إذا لم ينهضوا ويقاوموا الولايات المتحدة. وفي شريط آخر هناك تمثال الحرية يحمل سكيناً؛ الرأس تم تحويله الى جمجمة بمحجرين وعباءة غارقة بالدماء. وهذا لإظهار أن الولايات المتحدة ترتكب الجرائم ضد الإنسانية. وبحسب حزب الله والمنار فإن الإستياء والنقمة موجهان ضد سياسة أميركا الخارجية. أما التحالف بين الولايات المتحدة وإسرائيل فيتم إبرازه على أنه إرتباط بين الظالمين للقيام بما يسرُّهم بما يتعلق بالشعب الفلسطيني، الإنتفاضة، والمقاومة. فإذ تعتبر الولايات المتحدة بمثابة الراعي الرئيس لإسرائيل، متيحة لها التسبب بالإرهاب ومنع عودة اللاجئين.

- الأطر العسكرية

مع إندلاع الإنتفاضة بدأت المنار جدولة قائمة البرامج بحسب "توقيت القدس المحتلة" ووسَّعت عناوينها الإخبارية لتركز على الإنتفاضة. وتضمن ذلك مقابلات مع رافضين فلسطينيين وقادة منظمات إرهابية.

وبالنتيجة تم دفع تغطية الأخبار اللبنانية الى نهاية العناوين الإخبارية. فالمنار كانت تبث تقاريرها، وبشكل نمطي، حول العمليات العسكرية الإسرائيلية والهجمات الفلسطينية في شكل فلاشات إخبارية خاصة. وبدأت أشرطة الفيديو الموسيقية (الأناشيد) بدمج أشرطة صور هجمات حزب الله على مواقع عسكرية إسرائيلية مع صور لصدامات فلسطينية مع جيش الدفاع الإسرائيلي. أما الرسالة فهي أن النزاعين نزاع واحد وبأن نجاح حزب الله يجب أن يُطبَّق على الثورة الفلسطينية. وتصف فيديو البروباغاندا إسرائيل بأنها ضعيفة وخائفة من الإنتحاريين ومن الهزيمة العسكرية. وبدعوتها للوحدة العربية، أظهرت المحطة رجال عصابات حزب الله وهم يسيرون بإنتظام بإتجاه القدس بالإضلفة الى أعمال الشغب في جبل الهيكل وعمليات حزب الله ضد جيش الدفاع الإسرائيلي في جنوب لبنان.

خلال عملية " الحرية الصامدة" في أفغانستان ، أظهرت المنار تغطية مكثفة للعمليات العسكرية الأميركية. إذ تم إرسال المراسلين الى أفغانستان وباكستان للتغطية الحدث. أما المراسلون فعرفوا بإرسالهم تسجيلاتهم الإخبارية وهم يرتدون سترات حماية ويركضون الى جانب رجال عصابات حزب الله خلال الهجمات. فالصور الحية أعطت المنار، والى حد كبير، مكسب بث الأخبار العاجلة. وخلال عملية" الحرية العراقية" تم إستبدال البرامج لإجتذاب الجمهور العربي. إذ غطت المنار الصراع ودعت لأعمال عنف ضد الأميركيين في المنطقة. أما برامج الـ "توك – شو" فقد تضمنت العمليات العسكرية الأميركية والعدوان الأميركي.

ومع الحملة ضد العراق بقيادة الولايات المتحدة، دعا حزب الله، وبصراحة، لأعمال عنف ضد الأميركيين في المنطقة. وقد وصفت المنار الحرب وما أعقبها على أنها مؤشر على سعي الولايات المتحدة لخلق كيان صهيوني. وبثت المحطة دعوات لأعمال مقاومة ضد القوات الأميركية في العراق. وعندما تكون الفرق العسكرية الأميركية في خطر تقوم بروباغاندا المنار بالتحريض على العنف والكراهية تجاه الأميركيين.

- الأطر الإنسانية

بما يتعلق بالأطر الإنسانية حولت الإنتفاضة تركيز المنار الى الساحة الإسرائيلية – الفلسطينية. إذ بدأت المحطة بتقديم خدماتها علناً للفلسطينيين، محرِّضة إياهم على العنف، مشجعة إياهم على رفض المفاوضات مع إسرائيل والعمل بإتجاه محو الدولة اليهودية. فمحمد الدرَّة، وهو فتى فلسطيني قتل بالرصاص أثناء صدام إسرائيلي – فلسطيني في العام 2000، أصبح وجه الصراع. فصور موته المعتبرة قتلاً من قبل إسرائيل هيمنت على محطات البث التلفزيونية وتسببت بسخط على إمتداد العالم العربي. إذ كان موته رمزاً للكفاح الفلسطيني وإستخدمته المنار في عدد من برامجها وأشرطة البروباغاندا الخاصة بها.

أما برنامج "إرهابيون"، وهو سلسلة أسبوعية من نصف ساعة، فقد كرس نفسه لإثبات أن الصهيونية هي إرهاب، وذلك بتقديم صور متميزة بالعنف الدامي لأطفال قتلى، عرب جرحى ملطخين بالدماء، أطفال على أسرَّة المستشفيات وبالغين ممدِّين في توابيت. إضافة الى ذلك، كان هنا مقابلات مع شهود عيان لأطفال يبكون، مواطنين كبار هلعين، وجرحى آخرين في عمليات إسرائيلية. فكل فصل من فصول هذا البرنامج يحوي عدداً من الشخصيات القيادية الإسرائيلية ومراجع الكتاب اليهودي، مظهراً للمشاهدين بأن اليهود مأمورون بالقتل من خلال دينهم وبأن قادتهم يتبعون ما يأمرهم به دينهم. وكانت المنار قادرة على التحريض على العنف الفلسطيني بتقديمها الشعب الفلسطيني كبطل مضطهد بمواجهة عدو قوي. وتتضمن الصور المقدمة تظاهرات فلسطينية مع جماهير غاضبة تهز قبضاتها بإتجاه السماء هاتفة بشعارات، حارقة العلم الإسرائيلي؛ كما تتضمن رمي قنابل المولوتوف وإشتعال الآليات العسكرية. الإسرائيلية.

ج. إستنتاج

من التسعينات وحتى العام 2000، ركز حزب الله بشكل رئيس على ترسيخ شرعيته من خلال مشاركته في إنتخابات برلمانية وجهوده الإنسانية. وقد هيمن قتال حزب الله مع إسرائيل على بث المنار من العام 2000 وحتى 2005. فدعم المنار للفلسطينيين وإرتباطها بالصراع الإسرائيلي – الفلسطيني ضمن مكانة حزب الله في المنطقة وعلى إمتداد العالم العربي. فالصراع زاد من قامة ومكانة حزب الله وسمح للمنظمة بالحفاظ على الشرعية وسط جماهيرها. إن الفصل التالي سيحلل ما الذي سبَّب حرب 2006 بين إسرائيل وحزب الله، وآثار تلك الحرب.

4. حرب لبنان

أ. لبنان ما بعد الحرب الأهلية

إن الفصل الرابع مقسم الى أربعة أقسام. القسم الأول يدرس كيفية لعب الطائفية دورها في المجتمع اللبناني بعد حرب الـ 15 عاماً الأهلية، إغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري، والأحداث التي سبقت حرب إسرائيل – حزب الله. ويحلل القسم الثاني دوافع وإستراتيجية حزب الله خلال حرب تموز. أما القسم الثالث فيدرس كيفية إستخدام حزب الله للإعلام لتشكيل الرأي العام عن الحرب، ويناقش القسم الرابع والأخير دور حزب الله في لبنان بعد الحرب.

1. تغيير وجه المجتمع

لم تكن حرب الـ 15 عاماً الأهلية في البنان والتي إنتهت في العام 1990 صراعاً بين المسيحيين والمسلمين فقط. لقد إشتملت تلك الحرب على مجموعات طائفية عديدة مختلفة في صراع حول القضية الفلسطينية. فكثير من المسيحيين اللبنانيين (الأرثوذكس)، حوالي 10 بالمئة من السكان خلال الحرب الأهلية، مالوا لأن يكونوا أكثر تعاطفاً مع الفلسطينيين من الموارنة. وبالإمكان عزو الطائفية المتزايدة الى أربعة عوامل. الأول، أدى إندلاع الحرب الأهلية الى تهجير عدد مهم من الناس ليصبحوا مجموعات أكثر إنقساماً. الثاني، الصعوبات الإقتصادية، فتفاوت المداخيل والفساد جعل العجز يتجاوز المليار ونصف المليار دولار سنوياً. وهذ الأمر فاقم الدين العام ليصل الى 40 مليار دولار بسبب الإنفاق على البنى التحتية المدمرة خلال الصراعات والإجتياح الإسرائيلي.
لقد حدَّ الدين الضخم، وبشكل حاد، من الفرص الإقتصادية وإنتهى الأمر بتقلُّص الطبقة الوسطى، بالعدد المتزايد للمهاجرين اللبنانيين (غالبيتهم من المسيحيين الذين لديهم سهولة أكبر في الحصول على التأشيرات)، وإعتماد متزايد من قبل الناس على مناصرة الزعماء السياسيين الطائفيين الجدد.
رسخت الحرب نفسها نظاماً طائفياً يقسم الشعب الى فئات إثنية. فالعامل الثالث كان عودة الحياة للزعماء والمؤسسات الدينية. إذ بدأ رجال الدين بالهيمنة داخل منظمات طائفية وفي حزب الله، فمحمد رعد ومحمد فنيش، العضوان الوحيدان من غير رجال الدين في مجلس الشورى المؤلف من 7 أعضاء، تم إستبدالهما برجال دين في العام 2001. ومنع الضغط السوري في لبنان منذ العام 1976 شخصيات سياسية مستقلة من التطور كقادة. وهذا سمح لشخصيات دينية بالدخول والمساومة في النظام السياسي عن طريق الدفع قدماً بنموذج مجتمع مبني على أساس ديني.
أما العامل الأخير فهو العلاقة بين السنة والشيعة بما يتعلق بالتطورات الإقليمية. فبحسب نورتون، توثقت عرى الشيعة اللبنانيين مع بعضهم مع الإحتلال الأميركي للعراق بسبب وجود هوية مشتركة. إضافة لذلك، شجع صعود حركات سنية، كالقاعدة المعادية جداً للشيعة، المسلمين الشيعة، ليس فقط في لبنان وإنما عبر الشرق الأوسط أيضاً، على تحديد هويتهم بمصطلحات أكثر طائفية.

2. إغتيال رفيق الحريري

ترك رفيق الحريري منصبه في العام 1998 ومن ثم عاد إليه كرئيس للوزراء في العام 2000. وفي السباق لإنتخابات 2000، بحسب سوريا، فإن 19 مقعداً ستكون مقسمة بين 3 سياسيين سنة. أما غازي كنعان، المستشار السري في لبنان فقد أعاد رسم المحافظات الإنتخابية في بيروت لدعم خطة سوريا. في كل الأحوال، فاز الحريري بـ 18 مقعداً وأُعطي حزب الله مقعداً واحداً. وكان للحريري علاقات جيدة مع نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام وذُكر بأن ما قيمته 400 مليون دولار من الإستثمارات الخارجية لسوريا كانت هي المكافأة.

أما الأربع سنوات التالية للحريري فتميزت بالإعاقة والإنسداد السياسي بشكل تام، خاصة مع إميل لحود، الرئيس اللبناني من العام 1998. فالرئيس لحود كان ظهيراً لسوريا وعندما خططت سوريا لتمديد ولاية الـ 6 سنوات للحود في العام 2004 لمدة 3 سنوات إضافية، كان الحريري معارضاً لذلك بقوة. ومددت سوريا الولاية الرئاسية ما تسبب بردات فعل عديدة مختلفة ضمن الطيف السياسي. وكان حزب الله حليفاً للحود وإستحسنوا القرار. أما بالنسبة للمسيحيين والدروز، وحلفاء الحريري، فقد كان هناك نقمة وإستياء. هذا الأمر كان مثالاً آخر على تحكم سوريا بالحياة السياسية اللبنانية. وكانت النتيجة رداً دولياً من قبل الولايات المتحدة وفرنسا بتمرير قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1559 ، الداعي لإنسحاب القوات السورية من لبنان ونزع سلاح حزب الله.

كان هناك سلسلة لقاءات تم عقدها في العام 2004 لتوحيد الجماعات السياسية المختلفة ضد الهيمنة السورية. وأصبح الحريري" قائد" المعارضة ضد سوريا وفي كانون الثاني 2005 أبلغ الحريري رستم غزالي، مستشار سوريا في لبنان، بأن المرشحين المفروضين سورياً لن يكونوا مقبولين على لائحته لإنتخابات أيار 2005. وفي 14 شباط 2005 تم إغتيال رفيق الحريري بسيارة مفخخة في بيروت. وبالرغم من أن التحقيق الدولي للوصول الى القاتل في تقدم، فليس هناك من شك كبير بأن سوريا إعتبرت الحريري بمثابة تهديد لهيمنتها السياسية في لبنان.

إنسحبت القوات السورية من لبنان في نيسان 2005، وعقب موت الحريري كان هناك تظاهرات. إحدى هذه التظاهلرات إستهلها حزب الله في 8 آذار، 2006. وقدِّر بأن 400000 ألف متظاهر كانوا موجودين في هذه التظاهرة. ورداً على تظاهرة حزب الله نظّم قادة ثورة الأرز الديمقراطية الموالية لأميركا حشداً ضخماً في 14 آذار وقدِّر عدد المتظاهرين بالمليون، وهو ربع عدد سكان البلاد بالتمام. وبدا بأنه لن يفوز أي من الفريقين بحرب التظاهرات.

كان الجنرال ميشال عون، وهو ماروني وجنرال سابق في الجيش اللبناني، في المنفى في فرنسا منذ العام 1990 لكنه عاد الى لبنان في الوقت المناسب لأجل إنتخابات أيار 2005 البرلمانية. عندما كان في فرنسا، كسب عون أتباعاً له بين الأوساط المسيحية والإسلامية. لقد كان محط إعجاب بسبب شجاعته، صدقه وشرفه، ووطنيته. وضم عون قواه الى قوى بري وحزب الله بالدعوة الى تأجيل الإنتخابات لمراجعة قانون الإنتخاب، الذي صمَّمته سوريا لإختيار سياسيين أصدقاء موالين لها في البرلمان. ووجد عون حلفاء له ضمن "جماعة 8 آذار" الموالية لسوريا، وعندما جرت الإنتخابات، كان المنتصر الإئتلاف المناهض لسوريا.

3. المقدمة للحرب

بعد إنسحاب القوات السورية من لبنان، كان سياسيون يلحون على حزب الله بنزع سلاحه. ورفضت المجموعة ذلك قائلة بالحاجة للدفاع عن البلاد ضد غزو إسرائيلي هو أكبر من أي غزو سابق. وكان التوتر يتصاعد لأشهر بين إسرائيل وحزب الله قبل حرب 12 تموز 2006. ففي تشرين الثاني 2005، حاول حزب الله أسر عدة جنود إسرائيليين في بلدة الغجر الحدودية بمحاذاة مرتفعات الجولان لكن المحاولات لم تكن ناجحة. ومن ثم في أواخر أيار 2006 أطلق حزب الله النار على موقع إسرائيلي حدودي ليجرح بذلك جندياً إسرائيلياً. وعلى مدى السنوات منذ الإنسحاب الإسرائيلي في العام 2000، كان الرد النمطي بين حزب الله وإسرائيل هو قصف الجيش الإسرائيلي لمركز القيادة والتحكم التابع لحزب الله. في كل الأحوال، دمرت إسرائيل عدداً من مواقع حزب الله على طول الحدود. ورداً على ذلك، أطلق حزب الله 8 صواريخ كاتيوشا على صفد، مراكز القيادة الشمالية للجيش الإسرائيلي لكنها إنتهت بضرب هوائي مزرعة قريبة بدلاً من ذلك.

ب. تموز 2006

1. الدوافع

في 12 تموز 2006، أوقع مسلحو حزب الله دورية إسرائيلية في كمين في منطقة غير مأهولة من شمال إسرائيل على الحدود مع لبنان، آسرين جنديين إسرائيليين وقتل ثلاثة آخرينز وبعد تعقب قوات الدفاع الإسرائيلية للمسلحين داخل لبنان، قُتل 5 جنود إسرائيليون آخرين. وكانت عمليات الخطف تكتيكاً شائعاً مستخدماً من قبل حزب الله لتبادل أسرى مع إسرائيل. أما المعتقلين فكانوا لبنانيين وعرب. فمن منظور حزب الله، لا يمثل أسر جنود إسرائيليون على الجانب الإسرائيلي تغييراً هاماً في إستراتيجيته بما أن إسرائيل كانت تنتهك، وبشكل روتيني، الخط الأزرق الذي يفصل إسرائيل عن لبنان.

بحلول 13 تموز، بدأت إسرائيل هجومها ضد حزب الله. وحوصر لبنان من البحر وضُرب مطار بيروت في غضون يوم واحد. وبعد قصف مكاتب حزب الله في 14 تموز، أطلق نصر الله تصريحاً يقول فيه بأن حزب الله مستعد لحرب

مفتوحة وأطلق صاروخ "نور C-802" الإيراني الموجَّه الذي ضرب " حانيت INS"، وهي قطعة في سلاح البحرية الإسرائيلية. وتمتعت إسرائيل بدعم دولي في حين لم يحصد حزب الله سوى الإدانة بسبب إنتهاكه الأراضي الإسرائيلية وخطفه الجنديين. أما الدول العربية الأساسية، كالعربية السعودية، الأردن، مصر، والإمارات العربية المتحدة فقد إنتقدت حزب الله. وفي 21 تموز 2006، أعطى نصرالله مقابلة لمحطة الجزيرة معبِّراً فيها عن تفاجئه من عدم التأييد العربي ومن الرد الإسرائيلي الواسع.

2. القتال

خلال الحرب إعتمدت إسرائيل على القوة الجوية والقصف المدفعي من شمال إسرائيل على الداخل اللبناني. وأرادت إسرائيل عزل لبنان، لذا فإنها قطعت عنه الإمدادات، قطعت الطرق، ضربت ترسانات الصواريخ، مراكز القيادة والتحكم ومحطة تلفزيون المنار. وضُربت مئات الأهداف على إمتداد الجنوب اللبناني حيث إضطر السكان للفرار بحثاً عن الأمان أينما وُجد. كما ضربت إسرائيل محطات البنزين ومخازن الأغذية أيضاً. ورد حزب الله بإطلاق الصواريخ، حوالي 150 صاروخ باليوم، على إسرائيل. وضربت صواريخ طويلة المدى حيفا، ما أدَّى الى مقتل 8 أشخاص. وبعد يوم من هجوم حيفا صرَّح رئيس الوزراء أولمرت قائلاً بأن أهدافه من الحرب هي إعادة الجنديين الأسيرين، نشر الجيش اللبناني في الجنوب والتخلص من حزب الله كقوة عسكرية بحسب قرار مجلس الأمن رقم 1559. وكان الإسرائيليون واثقين بأن بإمكانهم شطب حزب الله من لبنان بنصف المدة التي إستلزمت الولايات المتحدة في كوسوفو.

ومع نهاية تموز بدا بأن إسرائيل كانت مبالغة في ثقتها بقدراتها. وقصفت إسرائيل بلدة قانا لتقتل 28 مدنياً وتخلق سخطاً وإحتجاجات عامة وواسعة في بلدان الشرق الأوسط. وأثبت حزب الله عن مرونة كبيرة بعد شهر من القصف الإسرائيلي ليظهر بعد ذلك مدعوماً من المجتمع الشيعي. . وتزايدت قاعدة دعم حزب الله لأسباب عديدة. أولاً، لقد ترك مقاتلوه قوائم بالمواد التي أخذوها من المحلات خلال الحرب ليُصار الى دفع ثمنها لأصحابها لاحقاً. ثانياً، لقد دفع حزب الله مبلغاً يتراوح بين 10000 و 12000 دولار للناس الذين خسروا منازلهم. ثالثاً، وضع المصممون والمهندسون تصاميم البناء لمنازل جديدة، وقدم الأطباء أدوية مجانية وكان يتم توزيع آلاف الوجبات الغذائية يومياً.

ودخل وقف إطلاق النار حيِّز الوجود في منتصف آب 2006 عندما دعا قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1701 قوات السلام الدولية (UNIFIL) في جنوب لبنان للإشراف على الإنسحاب الإسرائيلي. وبالرغم أن مهمة اليونيفيل كانت ضمان سماح عودة المدنيين اللبنانيين الى قراهم وإعادة بناءها، فإن هذه القوات لم تتمكن من إتخاذ أي عمل لنزع سلاح حزب الله من دون موافقة الحكومة اللبنانية. ووافق حزب الله على السماح لليونيفيل بإحتجاز أي من أفراده إذا ما ضُبط يحمل أسلحة. وبالإجمال، فقد تهجَّر حوالي 500000 إسرائيلي، تم إجلاء 900000 شخص من مناطقهم في لبنان، قتل 43 إسرائيلي و 1109 مدني لبناني، كما قتل 118 جندي إسرائيلي و 28 جندي لبناني بالإضافة الى حوالي 200 من مقاتلي حزب الله. أما الخسائر المادية فوصل مجموعها الى 500 مليون دولار في إسرائيل، و4 مليار دولار في لبنان، إذ تم ضرب 900 معملاً وتضرر 1500 منزل أو دُمِّر. لقد دفع كل من إسرائيل ولبنان ثمناً باهظاً للحرب من دون رابح ظاهر.

3. أهداف حزب الله العسكرية

كان هدف حزب الله المركزي في الحرب منع إسرائيل من تحقيق أهدافها بإزالته من لبنان وتحرير الجنديين الأسيرين. وإدعى حزب الله النصر في الحرب لأنه كان قادراً على الصمود مقابل قوة وحجم إسرائيل الهائل. ومع تفوق إسرائيل بأداءها على كل الجيوش التقليدية التي حاربتها على إمتداد تاريخ الصراع العربي – الإسرائيلي، فقد منع حزب الله غزواً إسرائيلياً، ألحق خسائر بالجيش الإسرائيلي وأطلق الصواريخ على إسرائيل.

4. الأهداف السياسية

سياسياً، أراد حزب الله مواجهة "مبادرة الشرق الأوسط الجديد" لواشنطن التي كانت تسعى الى إزالة حزب الله بالإضافة الى حماس بسبب تأطير الحكومة الأميركية للحرب على الإرهاب وأجندة الحرية للرئيس بوش. فبما أن بوش أكَّد على أن الحرب هي نزاع بين قوى الحرية وقوى الإرهاب في الشرق الأوسط، فقد إعتقد حزب الله بأن مسؤوليته هي إعاقة أهداف الحرب. فتأطير الحرب أصبح حق الناس في مقاومة الإحتلال ورفض التوجه الإمبريالي الأميركي.

ج. التغطية الإعلامية

1. الحرب اللامتماثلة

خلال حرب الصيف، أنتج عالم الإعلام "الحرب الحية الأولى، حقاً، في التاريخ". فبالرغم من أن الشبكات الأميركية بثت تقارير "حية" على طول طرقات الغزو الأميركي خلال حرب الخليج الأولى عام 1991 وحرب الخليج الثانية في العام 2003، فإن شبكات التلفزيون في هذه الحرب عرضت صوراً فورية لساحة المعركة. وتضمنت هذا العرض صوراً للجيش الإسرائيلي المتقدم / المتراجع في جنوب لبنان، منازل وقرى مدمرة بواسطة القنابل، أشخاص هائمون على وجوههم فوق الأنقاض، طائرات إسرائيلية تهاجم بيروت، وصواريخ حزب الله تضرب شمال إسرائيل وحيفا. ووظف الصحافيون الكاميرات، الحواسيب والهواتف النقالة لتصوير وبث تقاريرهم من أي موقع هم موجودون فيه، وبالنتيجة، أصبحت هذه الأجهزة أسلحة حرب.

في بداية الحرب أشار مراسلون الى أن حزب الله بدأ الحرب وبأن الضحايا كانوا النتيجة لذلك. في كل الأحوال، بعد الأسبوع الأول تم إسقاط هذا الموضوع أو لم يعد يُعتنى به. وكان الإنطباع بأن إسرائيل كانت تقصف أي شيئ يتحرك لأنها كانت ترد بقوة عسكرية لا متناسبة، مدمرة البنى التحتية بالإضافة الى قتلها المدنيين. فعدم التناسب بالرد كانت الفكرة المأخوذة عن الحرب والمثال البياني على ذلك ظهر على التلفزيون في 30 تموز عندما قصف الإسرائيليون بلدة قانا في جنوب لبنان، ليقتلوا بذلك أكثر من 50 مدنياً لبنانياً. وقال الإسرائيليون بأنهم كانوا يقصفون موقعاً لإطلاق الصواريخ محاذي للمبنى المقصوف وإعتذروا عن وقوع الضحايا، إلا أن المراسلين وصفوا المشهد بالمجزرة، ما إستحضر إهتماماً سلبياً بإسرائيل.

2.تحليل المحتوى

ركز المراسلون العرب والغربيون على موضوع الإستخدام غير المتناسب للقوة منذ بداية الصراع. فالشرق الأوسط ، وهي صحيفة ناطقة باللغة العربية، نشرت 24 صورة فوتوغرافية لهجمات إسرائيلية على لبنان على الصفحة الأولى، لكنها لم تنشر سوى صورتين لهجمات لبنانية على إسرائيل. وهذا الأمر لعب دوراً في الحكم المسبق للقراء الذين تعاطفوا مع إخوانهم العرب تحت القصف الإسرائيلي. علاوة على ذلك، نشرت محطتي الجزيرة والعربية روايات كانت تنعت إسرائيل بالمعتدية. وحاولت العناوين الرئيسة إظهار صورة أكثر توازناً لكنها لم تكن ناجحة. فالمؤسسات الإخبارية العربية قدمت أخبارها ومعلوماتها الخاصة لكنها عكست، بشكل أساسي وجوهري، نفس الرأي، أي أن إسرائيل كانت المعتدية. وكانت التغطية التلفزيونية الأميركية الأشد خلال الأسبوعين الأولين من الحرب وكانت منتقدة لإسرائيل أكثر منها لحزب الله.

وهناك موضوع آخر غُطي خلال الحرب وهو شعور العرب بأنهم ضحية. فالبث التلفزيني ركز على اللبنانيين بصفتهم ضحايا. وكانت الروايات تدور حول الموت، التدمير والتنكيل. وشددت محطة العربية على مسألة الضحية اللبنانية في 95 بالمئة من تقاريرها في حين شددت الجزيرة على هذا الموضوع في 70 بالمئة من بثها.

3.قدرة المنار على الوصول

إن الإعلام والإتصالات ليسوا كيانات منفصلة بمعزل عن حزب الله، إنما أمور مركزية بالنسبة له. ففي الأسبوعين الأولين للحرب قفزت المنار من المرتبة 83 الى المرتبة 8. فالمحطة ليست مهتمة بأن تكون موضوعية أو متوازنة. إن هدفها إظهار أجندتها ودعم العسكر في أوقات الصراع. وإحدى الطرق التي زادت فيها المنار عدد مشاهديها كانت إعطاء المراسلين إمكانية النفاذ والوصول الى مناطق معينة. إذ قام حزب الله بجولة إعلامية لجنوب بيروت حيث كانت منازل وشقق الداعمين الشيعة مدمرة بسبب الضربات الجوية. هذه الجولات لم تكن فقط لمراسلي المنار، وإنما لمراسلين أجانب أيضاً. إذ تحكم حزب الله بالجولة وأظهر كيفية قصف إسرائيل للمدنيين وتسببها بالدمار الشامل. أما في جنوب لبنان فقد نالت الطرق الرئيسية نصيبها من حُفر القنابل كما تم تفجير الجسور.

قام مراسلو الشبكات الإخبارية بتثبيت كاميراتهم على طول الحدود الإسرائيلية – اللبنانية لإرسال تقارير حية من أرض المعركة. وفي المساء قام هؤلاء المراسلون الإخباريون بإستخدام كاميرات خاصة وكانوا موجودين في مواقع لمراقبة الجيش الإسرائيلي ودباباته وهي تستعد لعبور الحدود الى داخل لبنان ولإرسال تقارير حية متى ما بدأ العمل. وبالرغم أن

بعض الصحافيين شكوا من عدم قدرتهم على الحصول على منفذ لمناطق أرادوا الوصول إليها، فإن حزب الله شجعهم على مشاهدة المنار للحصول على آخر التقارير والمعلومات بخصوص الحرب.

لقد إستخدم حزب الله إعلامه خلال الحرب وإستطاع دمجه، بنجاح، في ميدان المعركة. فبعد القصف كان مراسلو المنار يذهبون في قوافل مرسلين التقارير عن الدمار. ومن ثم كان يتم تأطير القصة بحيث يتم إظهار إستهداف الصحافيين من قبل الإسرائيليين بسبب ما كانوا يرسلونه من تقارير. أما المنار فلعبت على الرواية وأظهرتها على أنها نجاة الصحافي من القصف، خاصة وأن إسرائيل قصفت محطة التلفزيون خلال الأيام الأولى للحرب. وكان المراسلون الإخباريون لا بأس بهم لجهة عدم توجيه تهجمات شخصية ضد مسؤولين معينين في الحكومة وعرضهم الحرب على أنها حرب قومية بالنسبة لجميع العرب. إضافة لذلك، كانت المنار مؤثرة وفعالة في إستخدام إعلام العدو لغاياته الخاصة. فالمنار بثت صوراً لأشخاص في إسرائيل يعبِّرون عن شكهم بشأن نجاح العمل العسكري. كما عرضت المنار الى أن حزب الله لم يبتدأ الحرب فعلاً لأن إسرائيل كانت قد سبق وخططت لهجوم في أيلول، وأن حزب الله إنتزع من إسرائيل عنصر المفاجأة. وقد أظهرت كليبات الرد السريع على تقارير إسرائيل بروباغندا مرئية وكانت هذه الكليبات يتم إطلاقها يومياً تقريباً. كما كانت حملة بروباغاندا المنار بإتجاه لبنان فعالة بشدة. فالأشخاص الذين ظهروا في الكليبات كانوا يلوحون بأعلام حزب الله، أمل ولبنان. حتى أنه كان هناك إمرأة تضع الصليب. أما خطابات نصر الله فقد أظهرته هادئاً، حيث أنه صرَّح بأن حزب الله كان يحارب ويفوز بحرب المقاومة.

ركزت المنار على الضحايا اللبنانيين ونادراً ما ذكرت الإصابات في صفوفها. وكانت إحدى الصور الفوتوغرافية التي ظهرت على شاشة المنار لعامل إنقاذ وهو يحمل جثة طفل عبارة عن أشلاء. ونادراً ما أظهرت المنار مقاتلي حزب الله وهم يطلقون نيران أسلحتهم من أحياء مأهولة بالسكان. فبالنسبة لحزب الله، كانت تقارير الدمار ذات فائدة له لأنه كان لديه أصلاً مراسلين في المنطقة ولأن إسرائيل قتلت ودمرت أكثر بكثير من حزب الله. فمن غير المحتمل أن تكون تغطيتهم للحرب عبارة عن تقييم حيادي للوضع على الأرض حيث أن التصوير والوصف الإعلامي يلعب دوراً إستراتيجياً في الحروب.

د. ما بعد حرب تموز

1. حزب الله في لبنان

في حين كان هناك، بعد الحرب، إحتفالات بنصر حزب الله في العالم العربي، فقد قسَّمت الحرب البلاد الى قسمين. قسم مثل السنة، الدروز والمسيحيين (إئتلاف 14 آذار) الذي إرتبط ببعضه بعد إغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري. هذه المجموعة كانت في السلطة خلال حرب 2006 وإتهمت حزب الله بكونه عميلاً لسوريا وإيران بهدف إنشاء جمهورية إسلامية. أما القسم الآخر فتألف من أكثرية المجتمع الشيعي وشريحة كبيرة من المجتمع المسيحي، خاصة أتباع الجنرال السابق ميشال عون، الماروني. ودعا هؤلاء أنفسهم بـ فريق 8 آذار في إحياء لذكرى التظاهرة الكبرى التي قام بها حزب الله وأمل في 8 آذار 2005.

2. الإستراتيجية السياسية ما بعد الحرب

رفض حزب الله اللوم على إنجراره المفاجئ للحرب مع إسرائيل. إذ زعم قادة حزب الله بأن أعضاء إئتلاف 14 آذار ضغط على إسرائيل والولايات المتحدة لشن حرب على حزب الله. إضافة لذلك، كان للقرار الدولي 1701 بنوداً لم يتم تقبلها. فمنذ حصول إئتلاف 14 آذار على مساعدة حزب الله في السيطرة على أكثرية المقاعد البرلمانية وصنعهم إتفاق مع حزب الله، في الوقت الذي لم يمشوا بالإتفاق، لم تعد الحكومة فاعلة وفقدت شرعيتها. أما حزب الله فقد إعتقد بأنه كان محروماً من دوره المشروع بما أن جماعة المعارضة كانت تتمتع بدعم أكثري في البلاد. وبالنتيجة، يسعى حزب الله لحصة أكبر في السلطة السياسية في مجلس الوزراء. فحزب الله يشعر بأنه لا يُعامل كشريك مساو. إن القرار بالسعي لشراكة أكبر ليس لأجل أنفسهم أو لأجل الشيعة، وإنما لضم قوى سياسية رئيسة أخرى كالتيار الوطني الحر بقيادة ميشال عون. فبزيادة سلطته السياسية، سيدفع حزب الله بقضية المقاومة قدماً أكثر. لقد أصبحت المشاركة السياسية ضرورة وطريقة لتعزيز الوحدة الوطنية.

3. الإستراتيجية العسكرية

أنهى قرار مجلس الأمن الدولي 1701 الأعمال العدائية بين إسرائيل ولبنان وأدى الى إرسال آلاف الجنود اللبنانيين بالإضافة الى القوات الدولية المؤقتة (اليونيفيل) الى لبنان. ورغم أن القرار دعا الحكومة الى وقف تدفق السلاح، فإنه لم يقم بنزع سلاح حزب الله. أما التغيير الوحيد منذ تنفيذ القرار فهو إزالة مركز مراقبة عام على طول الحدود مع إسرائيل والذي يدعي حزب الله بأن لا قيمة عسكرية له. وبالنسبة لحزب الله، فإن القرار 1701 لم يوقف المقاومة. فالحرب كانت نصراً له وبرهنت عن فعالية التكتيكات العسكرية غير التقليدية. فالحاجة لحزب الله هي أكبر من الحاجة للجيش اللبناني أو قوات اليونيفيل.

4. الإستراتيجية الإعلامية

منذ حرب 2006 تزايدت الصور السياسية (البوسترات، اللافتات والأعلام) في بيروت، بشكل أساسي. فبعد القصف الإسرائيلي، وضع حزب الله لافتات على الأنقاض كُتب عليها بالإنكليزية "Made in USA" (صُنع في أميركا). فالإعلام كان معروفاً بنشره السريع للأفتات ما بعد الحرب وبقدرته على إجتذاب الإهتمام الدولي. وعندما رعت الـ USAID حملة لوحات إعلانية بعنوان " I Love Life" (أنا أحب الحياة) مُدينة بذلك حزب الله على قدراته التدميرية، كافحتها المعارضة بحملة باللغة العربية تقول " نريد أن نحيا" وزادت عليها "بكرامة ومن دون ديْن".

أما في أوقات السلم فيبدأ بث المنار اليومي بنشرة الأخبار وبمراجعة لعناوين الصحف المختلفة المتنوعة بإيديولوجيتها. كما تتم متابعة السياسات المحلية الأميركية والخارجية عن كثب وتسلط برامج المحطة الضوء على الأخطاء التي إرتكبتها الولايات المتحدة. أما محلياً، فتشدد المنار على إيديولوجية حزب الله والحاجة الى أجهزة الدولة. إذ ليس هناك من إنقسامات طائفية في المحطة وتركز البرامج على الوحدة اللبنانية.

ه. إستنتاج

رغم أن حزب الله برز من الحرب بدعم سياسي أكبر على إمتداد الرأي العام العربي، فإنه لم يحصد سوى معارضة أكبر في أوساط الحكومات. وبدأ يتحول من مقاومة عسكرية ضد إسرائيل الى الإنخراط السياسي في لبنان. وخلال الحرب أنتجت روايات عديدة، جيدة وسيئة. فما أثر على الرأي العام بشكل كبير كان الصور والتقارير "الحية" للموت والدمار. فمن خلال المنار، تبرِّر المنظمة العنف ضد أعدائها وتحافظ على ثقافة المقاومة. أما بالنسبة لحزب الله، وكي يستخدم الإعلام بشكل فاعل ومؤثر كأداة في الحرب، فقد أظهر بأن المنظمة تطورت منذ تشكيلها من مقاتلي عصابات الى مستخدِمين محنكين لتكنولوجيا المعلومات.

5. الإستنتاج

أ. إعادة درس الحركة الإجتماعية والإعلام

كما رأينا في الفصل الأول، فإن الحركات الإجتماعية متورطة في النزاعات التي تؤطر المشاكل والظلم بطريقة تقنع جمهوراً واسعاً ومتنوعاً بالإنكباب على القضية والتأثير على نتيجتها. أما الأداة الرئيسة في هذه العملية فهي الإعلام التي تعتبر مساعدة ومفيدة بطرق عديدة. إنها تصل لعامة الشعب لتحريك مشاركين محتملين، وبإمكانها ربط الحركات مع فاعلين سياسيين كما توفر دعماً سيكولوجياً لأعضائها. وأظهرت الأبحاث بأن التغيير بالرأي العام كان متصلاً بكمية تغطية التلفزيون الوطني للقضايا، بالإضافة الى مصادر الأخبار. ويعرض دليل آخر الى أن تصنيف الفرد لأهمية المشكلة بالنسبة للمجتمع قد تكون متصلة بالتغطية الإعلامية أكثر منها بالخبرة الشخصية.

هناك وجه آخر للحركات الإجتمكاعية هو التأطير. فمجموعات الحركات تستخدم القضايا التي تضعها في دائرة الضوء الإيجابي للتحفيز وتشريع جهودها. إذ ليس مفاجئاً أن تكون معظم الحركات قد أنفقت الكثير من الوقت في إجتذاب وتشكيل التغطية الإعلامية لنشاطاتها. لقد كان إستخدام حزب الله للإعلام فعالاً جداً في حرب الصيف. ومنذ بثها الأول في العام 1991، يمكن عزو بقاء المنار قوية الى عوامل ثلاث. خلال الحرب تم سحب المراسلين الى مناطق خاضعة للهجمات لأن الصور التي سيتم إظهارها ستجتذب الإهتمام الإعلامي والدعم لحزب الله. هذه الأعمال المشوشة إعتبرت أخباراً قيِّمة. ثانياً، إن خطابات نصرالله التي تعرض سلوكاً هادئاً كانت ناجحة في إجتذاب داعمين متعاطفين. لقد أطَّر نصر الله

الصراع على أنه حماية للمقاومة، الحفاظ على "عروبة" لبنان وإبقائه خارج المحور الأميركي – الإسرائيلي. كان الحزب، دوماً، مشكلاً بالتفاعل بين نشاطه المسلح وعوامل خارجية كالتطورات السياسية والعسكرية. ثالثاً، لقد ساعد الإعلام أنشطتهم. وإستطاع حزب الله إظهار جانبه الإنساني بتقديمه الأموال للناس في المناطق الفقيرة، إعادة بناء المنازل، سواء المتضررة من جراء الصراع أو الكوارث الطبيعية، وتشييد المدارس والمستشفيات. لقد نجحت هذه الأعمال في توليد الدعم لحزب الله لأنها كانت تقدم الخدمات التي لم تتمكن الحكومة من تقديمها.

ب. حرب الأسلمة

منذ إنشاء إسرائيل في العام 1948، دُعي رفض وجود إسرائيل بالقومية العربية. وشكلت دولاً عربية تحالفات بإسم الوحدة لشن حرب ضد إسرائيل. في كل الأحوال، أدى فشل التنسيق الى هزائم مذلة في حربي 1948 و 1976 العربية – الإسرائيلية. وكان المكوِّن الإسلامي في المقاومة موجوداً دائماً في المقاومة ضد إسرائيل لكنها عادة ما لعبت دوراً داعماً، أولاً بالنسبة للدول العربية ومن ثم بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية. وكان لآية الله الخميني، قائد الثورة الإسلامية في إيران، رؤية إسلامية تنكر شرعية إسرائيل وتبطلها. وبتأسيس حزب الله كحرس مسلح في لبنان، فإنه كان جبهة إسلامية جديدة ضد إسرائيل. وفي أواخر التسعينات بدأت حركات إسلامية بالبروز على إمتداد الشرق الأوسط. لقد بدأت هذه الحركات بتقييم موقفها تجنباً لقمع الحكومة وللإستفادة من الطلب المتزايد للقيام بالإصلاح في بلدان عدة.

وتقبلت الحركات السائدة قوى علمانية بصفتها قوى سياسية شرعية وحلفاء محتملين للقيام بإصلاح ديمقراطي. وإعتنقت حركات إسلامية سياسات ديمقراطية وركزت على أهداف مشتركة، كتحدي الأنظمة السلطوية. كان هناك إشارات عن تنامي القبول الإسلامي لحلول غير إسلامية. في كل الأحوال، من غير المرجح أن تنجح هذه المنظمات في إزالة الشكوك حول حدود تسامحها طالما أن لدى هذه المنظمات أجندة سياسية ودينية.

ج. الوجه المتغير لحزب الله

منذ بداياته كان حزب الله أكثر من حزب سياسي. فمع إنسحاب إسرائيل في العام 2000، والإنسحاب في الحرب الأخيرة، برز حزب الله منتصراً. ومنذ ذلك الحين، سعى حزب الله لتحديد هويته ودوره في المجتمع عن طريق تحويل تركيزه وأولوياته. لقد حوَّل حزب الله تأكيده العلني من تحرير مناطق معينة من لبنان ، كمزارع شبعا، الى حماية لبنان وتقوية جميع العرب ضد إسرائيل. أما الأجندة الرئيسة المزعومة من قبل حزب الله المتصلة بالصراع العربي – الإسرائيلي فهي تحرير فلسطين. فعقب إندلاع الإنتفاضة الفلسطينية زاد حزب الله من دعمه للعمليات المسلحة في إسرائيل والأراضي المحتلة.

أصبح حزب الله مزروعاً في المجتمع اللبناني بسبب قدرته على لعب دوره كقوة سياسية وطنية في نظام طائفي وتقديمه خدمات إجتماعية هامة. فخلال زمن الصراع، تبث المنار بروباغاندا ودعم أكبر للعمل العسكري. وبعد هجمات 11 أيلول خفضت المحطة من لهجتها المعادية لأميركا. لقد أنشئت المنار كوسيلة مقاومة غير عسكرية. في كل الأحوال، إن المقاومة من دون عمل عسكري أمر غير ممكن بحسب المنظمة. وهناك بعض التوجسات بخصوص السياسات. وكي يصبح حزباً سياسياً طبيعياً بالكامل، على المنظمة الإستسلام للتشاحن الداخلي اللبناني، الفساد ونظام مناصرة العميل. إن حزب الله يعتبر نفسه حركة تطمح لأهداف أعلى من السياسات المحلية.

أبقى المشهد الإقليمي المتحول والضغط الدولي القوي حزب الله مشغولاً. فحزب الله كان حركة قاتلت لأسباب عديدة – النضال لأجل فلسطين ومقاومة وطنية في الجنوب. أنه أيضاً نزاع بين الأسلمة والقومية العربية من جهة وبين الهيمنة الأميركية – الإسرائيلية من جهة أخرى. وبما أن الحكومات قد فقدت مصداقيتها وتأثيرها في العقود الأخيرة، فإن نجاح حزب الله في إخراج إسرائيل سيحرِّض حركات أخرى معنية في المنطقة لإتباع براعته وبسالته التنظيمية والسياسية.

قربت الحرب المنطقة من صراع أوسع. فحزب الله أصبح أكثرإستقلالية في السنوات الأخيرة، عملانياً ومالياً. أما قوة إيران ففي تزايد أيضاً. وتعود العلاقة بين إيران والمجتمع الشيعي في لبنان الى عقود عدة. وبعد أكثر من عقدين من المساعدة، تحولت منظمة العصابات التي كانت صغيرة ذات مرة الى قوة سياسية شعبية وقوية داخل لبنان. فحزب الله غيرمدمر عسكرياً حتى الآن، فوضعه كدولة ضمن الدولة لم يتغير برغم إنتشار الجيش اللبناني في الجنوب.

لقد تغيرت التغطية الإعلامية في الشرق الأوسط بشكل دراماتيكي.فما الذي يعنيه هذه بالنسبة للحياة السياسية؟ قد يكون هناك إجماع عام عربي مشترك حول قضايا عالمية. فالإتصالات في برامج الـ "توك – شو" والبرامج المختلفة سمحت للعرب بالتفاعل ومناقشة القضايا. إن المدى الذي ستستمر فيه الحرية الإعلامية بالتنامي سيعتمد على مدى شعور السلطة

السياسية في العالم العربي بالتهديد بسبب عمل هذا الإعلام. وتمثل المنار موقف حزب الله وهي تحاول على الدوام الحصول على الشرعية. والى جانب الجزيرة، تعتبرالمنار المنفذ الإعلامي العربي الذي غطى حرباً بإستخدامها مراسليها ومصادرها الخاصة.لقد كانت تغطية المنار، وبشكل متفوق في القوة والتأثير، منظوراً إنسانياً . لقد أكسبها نجاحها ونموها الشرعية والثقة لمقاربة الصراع والحرب.

د. الفرص المستقبلية

بالرغم من أن حزب الله حركة قوية منظمة جيداً، فإن لديه أجندات مختلفة تعتمد على الظروف. إذ يزعم حزب الله بأنه يعمل بإسم المقاومة، لكنه أحياناً حزب يسعى لتعديل وتلطيف القوانين السياسية للسياسة في لبنان. إن الإنخراط المتزايد والمتصدي لحزب الله في الحياة السياسية اللبنانية إنتهى بفقدان الدعم السني. في نفس الوقت، بدأ الإصرار على الإحتفاظ بسلاحه يقوض شرعيته كحزب سياسي بالنسبة لكثير من اللبنانيين. ومن خلال المنار ، فإن المقصود من قبل البرامج هو التحريض على العنف ضد إسرائيل ودعم الفلسطينيين. وطالما أن الصراع الفلسطيني هو قضية، فإن حزب الله سيستمر بكونه قوة رئيسة في المنطقة. هذا التحليل لحزب الله ومحطته التلفزيونية يثبت بأن المنظمة قد تطورت بحسب التغييرات في بيئتها محلياً ودولياً. لقد كان ناجحاً في إستخدام محطته التلفزيونية كسلاح في الحرب. وبما أنه ليس بالإمكان إسكات المنار بشكل نهائي وتام، فإن هناك حاجة للإنكباب على طرق يكون فيها إجراءات أو دوافع لإحداث تغييرات في المحتوى الإعلامي.